مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

# أنسنة الحيوان في فلسفة توم ريجان

**د. سعيد علي عبيد علي**

**أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة المساعد**

**كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى**

**DOI: 10.21608/qarts.2022.154189.1481**

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد ٥٣ (الجزء الثاني) يوليو ٢٠٢١

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

# أنسنة الحيوان في فلسفة توم ريجان

**إعداد**

**د. سعيد علي عبيد علي**

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة المساعد

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى

**الملخص باللغة العربية:**

إن "أنسنة الحيوان" فكرة وضعها الباحث لمحاولة إضفاء بعض القيم والصفات الفسيولوجية، والسيكولوجية التي يتصف بها الإنسان على الحيوان، مثل حب الحياة، والإحساس بالألم، والوعي، والقدرة على التعبير. وبالتالي لا تشير الفكرة إلى العناية بالحيوان، أكثر ما تشير إلى ضرورة أنسنة الأعجم، وضرورة الاعتراف بحقوقه الحياتية مثل الإنسان تمامًا. وعلى هذه الفرضية وجدا أصحاب النزعة النباتية في فلسفة البيئة – الأرض الخصبة – لتأسيس أفكارهم ونموها، وعليها كانت فكرة أنسنة الحيوان جزءًا أصيلاً في تكوين فلسفة البيئة المعاصرة، حتى وإن كان الفلاسفة المعاصرون لم يصرحوا بهذه الفكرة في كتاباتهم، حيث ظهرت الفكرة بوضوح في الأدب العربي القديم لدى الشعراء في قصائدهم، باعتبار الحيوان إنسانًا يتصف بمعظم الصفات الإنسانية.

وتظهر أهمية البحث في كونه يعالج إشكالية شائكة، ومثيرة لتساؤلات فرعية تمخضت عنها، مفادها: "إلى أي حد يمكن القول بأنسنة الحيوان؟ بمعنى هل يمكن تطبيق جميع الصفات الإنسانية التي يتحلى بها الإنسان على الحيوان؟". لذا كان البحث بعنوان "أنسنة الحيوان في فلسفة توم ريجان"، وتكمن أهميته في فكرة المحاولة الأخلاقية التي أرادها الفيلسوف الأمريكي توم ريجان أن تكون للحيوان، ألا وهي فكرة أنسنة الأعجم.

**الكلمات المفتاحية:** حقوق الحيوان، أنسنة الحيوان، القيمة الباطنة، موضوعات الحياة، الوعي، قارب النجاة.

## تقدمة..

تُعَدُّ فلسفة البيئة من أهم فروع الفلسفة التطبيقية؛ حيث تهتم بدراسة البيئة الطبيعية، وعلاقتها بالكائنات الحية – ومن بينهم الحيوان – وتهتم بصفةٍ خاصةٍ بدراسةِ سلوك الإنسان في تعامله مع هذا الحيوان الأعجم، وكذلك تعامل الإنسان مع كل ما يحيط به من أرضٍ، ونباتٍ، وغيرها. فلم يُعد الاهتمام بالبيئة ترفًا في القرن العشرين الميلادي، بل أضحى ضرورةً مهمةً مع ظهور الوعي البيئي، حيث مثَّلت فلسفة البيئة اتجاهًا معاصرًا يحكمه نزعةٌ طبيعيةٌ، لكونه يحاول النهوض والعناية بكل ما في البيئة من موجوداتٍ طبيعية تكون غير مسئولة أخلاقيًا عن تصرفاتها، وذلك لتحرير القيم الأخلاقية، والحفاظ على البيئة، وبُعدها عن أي قهرٍ أو اضطهادٍ تتعرض له.

أما فكرة حقوق الحيوان Animal Rights فهي فكرة قديمة وجديدة على السواء في حقل الدراسات الفلسفية، لأننا نجانب الصواب إذا قلنا بأنها فكرة جديدة ولدت من رحم القرن العشرين الميلادي، ونشأت في أحضان أخلاقيات فلسفة البيئة المعاصرة، وذلك لكونها متأصلة في الفلسفات القديمة، ولكن لم تأخذ هذه الشهرة الواسعة النطاق إلا في فلسفات القرن العشرين بصفة عامة، وفلسفة البيئة بصفة خاصة، وذلك بعد أن أكتمل المبحث، وأصبح هناك ما يُعرف بـ "فلسفة البيئة" كمبحثًا فلسفيًا معاصرًا، أما الفكرة ذاتها فموجودة منذ القدم. حيث أن النظرة التحليلية لتاريخ الفكر الفلسفي تشهد بأن هناك فلسفات حاولت احترام الحيوان من حيث الإقرار بحقوقه في حياة كريمة بعيدة عن الأذى، باعتباره كائنًا حيًا يمتلك الإحساس بالألم، ويمتلك أيضًا الإحساس بالسعادة والفرح، فإذا كان الحيوان يمتلك كل هذه الأحاسيس والمشاعر، فلماذا نحرمه حقه في الإحساس بالسعادة ونجنبه الألم. وعلى أساس هذه الفكرة دأبت بعض الفلسفات على

اعتبار الحيوان يمتلك أخلاقًا مثل الإنسان، لأنه يملك الوعي conscious، وبالتالي يمكن الحكم على أفعاله بالخير والشر.

أما عن ظهور مصطلح "أنسنة الحيوان" Animal Humanism الذي وضعه الباحث في عنوان بحثه، وإن لم يكن ظاهرًا لدى فلاسفة البيئة أو أصحاب النزعة النباتية في القرن العشرين، فهذا يرجع إلى القُدسية التي نالها الحيوان لدى كل نباتي مهتم بحقوق الحيوان، فالمصطلح ما هو إلا محاولة لإضفاء معظم القيم والصفات التي يتصف بها الإنسان على الحيوان، مثل: حب الحياة، والشعور بالألم والسعادة، والوعي، والإدراك، والقدرة على حل المشكلة. وبالتالي لا يشير المصطلح إلى العناية بالحيوان، أكثر ما يشير إلى ضرورة أنسنة الأعجم، وضرورة الإعتراف بحقوقه الحياتية مثل الإنسان تمامًا. من هنا وجد أصحاب النزعة النباتية في فلسفة البيئة – الأرض الخصبة – لتأسيس أفكارهم ونموها، وعليها كانت فكرة أنسنة الحيوان جزءًا أصيلاً من تكوين فلسفة البيئة المعاصرة، حتى وإن كان الفلاسفة المعاصرون لم يصرحوا بهذه الفكرة في كتاباتهم، حيث ظهرت الفكرة بوضوح في الأدب العربي القديم لدى الشعراء في قصائدهم، باعتبار الحيوان إنسانًا يتصف بمعظم الصفات الإنسانية، وعليها كان الشعراء يتحدثون إليه، ويقصون عليه آلامهم من فراق المحبوبة، حتى ظهر الحيوان في الشعر العربي بصورة إنسان يرى، ويسمع، ويحس، ويفرح، ويتألم.

من خلال هذه التقدمة تظهر بوضوح أهمية عنوان البحث، إذ أنه يدور حول إشكالية شائكة، ومثيرة لتساؤلات فرعية تمخضت عنها. فالبحث بعنوان "أنسنة الحيوان في فلسفة توم ريجان"، فالأهمية تكمن في فكرة المحاولة الأخلاقية التي أرادها الفيلسوف الأمريكي توم ريجان Tom Regan (١٩٣٨– ٢٠١٧م) أن تكون للحيوان، ألا وهي فكرة أنسنة الأعجم، وبالتالي يصبح للحيوان ما للإنسان من حقوق، وعليه ما

على الإنسان من واجبات، على الرغم من كونه كائنًا حيًا أعجم يفتقر إلى فكرة المسئولية الأخلاقية.

أما عن دوافع اختيار البحث، فهي كثيرة، ومهمة، فإذا كانت قضية حقوق الحيوان أو فكرة أنسنة الحيوان فكرةً مثيرةً للجدل، فلابد أن تكون الدوافعُ مهمةً، وكثيرةً، كالتالي:

أولاً: قلة الكتابات الفلسفية أو الترجمات البيئية حول فكرة أنسنة الحيوان، فإذا كان للفكرة صدىً واسعُ النطاق لدى الشعراء في قصائدهم، فلماذا لم تحظ هذه الفكرة بشيءٍ من الاهتمام في الأدبيات الفلسفية بوجه عام؟ اللهم إلا في كتاب واحدٍ للراحل د. إمام عبد الفتاح إمام، الذي جعل من عنوان كتابه لُغزًا أثار جدلاً كبيرًا في الفكر الفلسفي ألا وهو "حوار بين العاقل والأعجم"، ومن فكرة الحوار هذه جاءت فكرة أنسنة الحيوان في فلسفة توم ريجان.

ثانيًا: على الرغم من قلة المقالات أو البحوث التي كتبها توم ريجان حول هذه الإشكالية، إلا أنه دوَّن كتابات مهمة، وكأنها أسفار خُطت لتجعله أول مدافع من الفلاسفة عن حق الحيوان في الأنسنة، فلم تكن قضيته في كتبه إثبات حقوق الحيوان، بل كانت عن الكيفية التي يمكن أن يتصف بها الحيوان بوصفه إنسانًا له الحق في الحياة، لأنه أهم أحد موضوعاتها.

ثالثًا: فكرة المطالبة بالحرية للحيوان، والتي تجلت بوضوح من خلال عنوان كتابه "أقفاص فارغة" Empty Cages، وكأن الأقفاص شبيهةٌ بسجن مادي، ولابد من إطلاق سراح المسجونين فيه، وبالتالي تكون للحيوان الحرية وإن كانت غير كاملة، والإيمان بهذه الفكرة يدفعنا قِدمًا إلى القول بأن الحيوان كائن أخلاقي، لأن أفعاله تتسم بالحرية.

رابعًا: وجود فكرة شائكة، وخطيرة في ذهن الباحث، كان لابد من وجود إجابات تُرضيه عما يدور في خلده، تكونت هذه الفكرة من خلال رؤيته لسلوك الحيوانات في الحياة اليومية، كرؤيته لفكرة "وفاء الكلب"، أو "غدر الذئب"، وكذلك "خجل الناقة"، هذه الصفات تجعلنا نقول – وقد يكون القول حقًا – أن الكلب أكثر وفاءً من الإنسان أو الصديق، ولكون الوفاء والغدر صفات أخلاقية خيرة وشريرة، فهل يمكن وصف هذا السلوك الحيواني بصفات أخلاقية! إذا كُنا مؤمنين بفكرة الوعي لدى الحيوان.

ومن خلال هذه الدوافع تكونت الإشكالية الرئيسة للبحث، والتي مفادها: "إلى أي حد يمكن القول بأنسنة الحيوان؟ بمعنى هل يمكن تطبيق جميع الصفات الإنسانية التي يتحلى بها الإنسان على الحيوان؟". وبالتالي كان لابد أن تظهر عدة تساؤلات جزئية متمخضةً عن هذه الإشكالية، والتي عليها بُنيت محاور البحث من الداخل، وهي كالتالي:

- هل يمكن القول بأن فكرةَ أنسنة الحيوان فكرةٌ جديدةٌ في أدبيات القرن العشرين؟ أما أنها فكرةٌ لها تأصيل عبر تاريخ الفكر الفلسفي منذ القدم حتى الآن؟ وإن كانت الفكرةُ قديمةً، فما هي جذورها الفلسفية؟
- إلى أي حد يمكن القول بأن سيرة حياة الفيلسوف تمثَّل دافعًا مهمًا لكونه على هذه الكيفية الآن؟ وبالتالي، فلماذا قصَّ علينا توم ريجان بعض الملامح المهمة من سيرته الفلسفية، لا يذكر فيها سوى آلامه، ورحلته مع الحيوان؟
- ما موضوعات الحياة التي تجلت بوضوح في فلسفة توم ريجان؟ وهل يمكن القول بأن جميع ما تشمله فلسفة البيئة يمثل موضوعًا للحياة؟
- ما القيمة الباطنة؟ ولماذا ميَّزَ توم ريجان بين مصطلحات القيمة الباطنة والقيمة الأصيلة؟ وهل الاعتراف بهذه القيمة الباطنة تجعل من الحيوان إنسانًا، لمجرد كونه يمثل قيمةً في حد ذاته؟

- إلى أي حد يمكن أن يكون للحيوان وعيًا مثل الوعي البشري؟ وما علاقة الوعي الحيواني بمشكلة اللغة؟ وهل كل كائن حي ناطق عاقل؟

إن معالجة هذه الإشكاليات اقتضت استخدام مناهج التحليل، والمقارنة، والنقد، حيث إنهما المناهج المناسبة فى هذا البحث، مُساندًا تلك المناهج بمنهجٍ تاريخيٍ يوضح بعض ملامح الفكرة قديمًا. وعليها جاء البحث متضمنًا خمسة محاور، كالتالي:

أولاً: الجذور الفلسفية لفكرة أنسنة الحيوان.

ثانيًا: مختصر لحياة توم ريجان وأهم أعماله.

ثالثًا: حقوق الحيوان بوصفها حقوقٌ طبيعيةٌ.

- الحيوانات موضوعات الحياة.
- القيمة الباطنة

رابعًا: مشكلة الوعي لدى الحيوانات.

خامسًا: نقد الفكرة وتناقض الفيلسوف.

وجاءت فى نهاية البحث خاتمة متضمنة لأهم النتائج التى توصل إليها الباحث، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التى تم الاعتماد عليها فى تحليل البحث وطرحه.

والله تعالى من وراء القصد

## أولاً: الجذور الفلسفية لفكرة أنسنة الحيوان.

من البديهي أن لكل فكرة فلسفية معاصرة أصولاً وجذورًا استقت منها، فليست الأفكارُ الغربيةُ المعاصرةُ وليدةَ اليوم والليلة، فلكل فكرة ماضٍ، ففكرة الأنسنة التي يدور حولها البحث عند توم ريجان لها جذورها التأصيلية في الأفكار الفلسفية القديمة والوسطى، بل والحديثة أيضًا، وإن كانت هذه الفكرة مركبة ومختلفة تناثرت عبر التاريخ، فالبعض جعل للحيوان قدسيه كما في الديانات المصرية القديمة، والبعض جعل للإنسان الحق في السيطرة الكاملة على الحيوان كما في المسيحية، وبعض فلاسفة العصر الحديث، أما فكرة "الأنسنة" فهي تظهر بوضوح في كتابات توم ريجان من خلال دفاعه الثوري لقضية حقوق الحيوان. لذا كان لابد من عرضٍ موجزٍ لأهم الأفكار التي تبنت فكرة الأنسنة لدى الحيوان – بل زادت عليها – لتجعله في مصاف الآلهة كما في الديانات الشرقية القديمة، وكذلك أهم الأفكار التى رفضت هذه الفكرة مع اعترافها بقيمة الحيوان.

إن الباحث في تاريخ الحضارة المصرية القديمة يجد القيمة الكبرى التي أضفاها الإنسان المصري القديم للحيوان حين تصور الألهة المصرية القديمة على شكل حيوانات، حيث رأى أن الآلهة تتقمص أجسام الحيوانات المختلفة لتجول بين الناس، وترصد حركاتهم وأعمالهم، ومن أشهر هذه الحيوانات العجل "أبيس"، الذين كانوا يحتفلون به يوم الفطام احتفالاً لا مثيل له في الروعة والفخامة، فرجال الدين والحكماء يسيرون أمامه ويقتادونه عبر النهرفي قارب مطلي بالذهب حتى يصلوا إلى معبده ممفيس، حيث يبقى العجل موضع الرعاية والتكريم طول حياته، ويوم يموت تحزن عليه البلاد بكاملها(١).

(١) حبيب سعيد: **أديان العالم**، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، د.ت، ص ٣٤٤.

ومن دلائل قيمة الحيوان وقداسته لدى الإنسان المصري القديم – فكرة التحنيط Embalming Idea – التي تدل على حب المصريين للحيوانات واحتفاظهم بها معهم في العالم الآخر، مثل القرد المدلل للأميرة "ماعت كارع" في القرن العاشر قبل الميلاد، والذي ظنه بعض العلماء عند فحصه بأشعة إكس طفلاً للأميرة مات بعد ولادته، وقد عُثر في الأراضي المصرية على العديد من الجبانات التي خُصصت للحيوانات، مثل جبانات الكباش في أسوان بجمهورية مصر العربية، كما تم العثور على مئات من السراديب التي تضم مومياوات من القرود وطيور أبي منجل بتونة الجبل في المنيا(١). وهذا دليل واضح من الحضارة المصرية القديمة على تقديس الحيوان، أضف إلى ذلك أن موت قطة في بيت أسرة كان يمثل كارثة في حياة هذه الأسرة، فكل فرد كان يحلق حاجبيه وشعره حدادًا على موت القطة، وقد كانت القطة الميتة تحنط، وتوضع في صندوقٍ خاصٍ يشبه في الشكل الخارجي هذه القطة، وكان يُصنع من الذهب أو الفضة(٢). حتى ظهرت الرسومات القديمة الخاصة بآلهتمهم على هيئة إنسان ولكن الرأس قطة.

(١) أحمد صالح: **التحنيط – فلسفة الخلود في مصر القديمة**، دار جماعة حور الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٨١.

(٢) يورى ديمتريف: **الإنسان والحيوان عبر التاريخ**، ترجمة د. محمد سليمان عبود، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ٤٨.

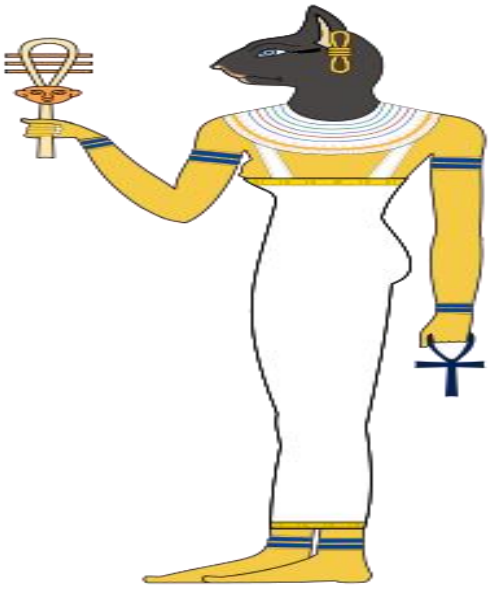

شكل (١): **صورة للإلهة باستت ربة الفرح والسعادة على هيئة سيدة لها رأس قطة.**

تُعبر الرؤية المصرية القديمة عن تقديس الحيوان نظرًا لقيمته الأصيلة، هذه القيمة الأصيلة هي التي يمكن أن نُطلق عليها أنسنه الحيوان، ناهيك عما إذا كان الحيوان يتمتع بالعقلانية أم لا، فالحيوان هنا يمتلك قيمةً إيجابيةً ذاتيةً وأصيلةً دون النظر إلى عقلانيته، وهذه القيمة التي اكتسبها الحيوان تعلو تمامًا على قيمة الإنسان خلافًا مع الرؤية اليونانية التي قدمها أرسطو حين حاجج بأن الحيوانات تمتلك إدراكًا حسيًا رغم افتقارها إلى العقلانية، وأنها أقل من البشر في المرتبة الطبيعية، وعليها فهي تمثل موارد بيئية تلائم أغراض الإنسان في الحياة[١].

(1) Singer. Peter (1985). ***Ethics and The New Animal Liberation Movement***:in, Defense of Animals, edited by, Peter Singer, Basil Black well, New York, p.1.

وبالنظر إلى هذه الرؤية الأرسطية نجدها منبثقة من رؤيته الكلاسيكية حول الطبيعة في تدرجها، فمن لهم قدرات عقلية أقل يعيشون لخدمة من لهم قدرات عقلية أكبر، وبما أن الطبيعة لم تجعل في الوجود شيئًا دون هدف، فإنها جعلت وجود الحيوانات من أجل الإنسان، فالقبائل البربرية أقل عقلانية من الإغريق، فهي بمثابة عبيدٍ لليونانيين الأكثر عقلانية، في حين لم تكن لأرسطو الجرأة ليقول أن الفلاسفة لكونهم عقلانيين للغاية فمن الواجب أن يخدمهم أشخاص آخرون(١). وعليها نفى أرسطو فكرة العدالة بين الإنسان والحيوان، كما رأى أن الرجال يتفوقون على النساء لامتلاكهم قدرة عقلية أكبر في التفكير(٢). وعليها تبدو رؤية أرسطو للحيوان رؤية مشوبة بالعنصرية، والنوعانية، واللامساواة.

ما سبق يؤكد على أن الرؤية المقدمة تجاه الحيوان تختلف باختلاف المجتمعات في الحقبة التاريخية الواحدة، فعلى الرغم من القداسة التي أضفتها الحضارة المصرية للحيوان، وإقرارها بأنسنته، بل بعلو مرتبته على الإنسان، نجد الرؤية المناهضة التي قدمها أرسطو والتي مفادها أن الحيوانَ مخلوق لخدمة الإنسان، والعبيدَ لخدمة الأحرار اليونانيين، وإن كانت الرؤية الأرسطية المقدمة مشوبة بالعنصرية واللامساواة، إلا أنها رؤية واضحة إذ عولت على فكرة الإدراك الحسي لدى الحيوان، وعليها يكون أرسطو قد اعترف بأن الحيوان كائنٌ حيٌّ لديه إحساسٌ ومشاعرٌ لابد من احترامها، وإن كانت رؤيته في الاعتراف بحقوق الحيوان غيرَ صريحة.

أما العصور الوسطى المسيحية فقد شدَّد فلاسفتها من أمثال القديس أوغسطين، والقديس توما الإكويني على الزعم القائل أن افتقار الحيوانات إلى العقل يبرر وقوعها

(1) Ibid: p. 2.

(٢) ديفيد ديجراتسيا: **حقوق الحيوان – مقدمة قصيرة جدًا**، ترجمة محمد سعد طنطاوى، مراجعة ضياء ورَّاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص ١٥.

في مرتبة أدنى من البشر، وهذا الطرح تقبله معظم المسيحيين في هذه الفترة، حيث اتفقوا على أن الحيوانات تقع في مرتبة أقل من الإنسان، في حين شددت اليهودية على ضرورة تقليل الألم الواقع على الحيوانات أكثر من المسيحية [١]. والدليل على ذلك ما جاء في الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الإكويني في قوله "بأن للإنسان عاطفتين، عاطفةَ عقلٍ وعاطفةَ شفقةٍ، فباعتبار عاطفة العقل لا فرق فيما يفعله بالحيوانات الأعجمية، لأن الله أخضعها لسلطان الإنسان، وباعتبار عاطفة الشفقة ينعطف إلى الحيوانات الأخرى أيضًا، لأنه لما كانت الشفقة تنبعث عن آلام الغير، وكان يحدث أن الحيوانات الأعجمية تشعر بالعذاب، جاز أن تنبعث في الإنسان عاطفة الشفقة حتى عن آلام الحيوانات"[٢].

ولا تزال هناك وقفات مضيئة من التاريخ المسيحي في معاملة القديسين بإحسان مع الحيوانات، بما ينتهي أيضًا إلى رفعة في المرتبة العقلية ومحادثته كإنسان، كمعاملة القديس أنطونيو اللشبوني Saint Antonio Lisbouni (١١٥٩ –١٢٣١م) في محادثته الدائمة للأسماك، والقديس فرنسيس الأسيزي Saint Francis Assisi (١١٨١ – ١٢٢٦م) الذي كان يطعم الطيور والحمام ويطلق عليها إخوانه وأخواته، وعليها تم وصف الجنة بأنها موطن للإنسان والحيوان على السواء، يتعايشان فيها بسلام، وهذه الفكرة أعطت الحيوان قيمة اعتبارية كبرى، إذ يندر وجود هذه الفكرة في الأديان الأخرى[٣].

(١) المرجع السابق: ص١٦.

(٢) توما الإكويني: **الخلاصة اللاهوتية**، المجلد الخامس، ترجمه من اللاتينية إلى العربية: المطران بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٠٨م، ص١٢٩.

(٣) ديفيد ديجراتسيا: **حقوق الحيوان – مقدمة قصيرة جدًا**، مرجع سابق، ص ٢٩.

إذا كانت الرؤية المسيحية ترى أن الحيوان في مرتبة أقل من الإنسان، إلا أنها تعترف بقيمته وحقه في حياة كريمة دون أذى، لأنه كائن حي يمتلك الإحساس والمشاعر، وهذه الرؤية لا تبتعد كثيرًا عن رؤية أرسطو. أما الفكر الإسلامي فقد كتب العلامة الكبير أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٩ – ٢٢٥هـ) كتابًا مهمًا تحت عنوان "الحيوان"، حيث أثبت الجاحظ في كتابه هذا أن الحيوانَ كائنٌ حيٌّ لديه مسئولية أخلاقية مثل ما يوجد عند الإنسان من واجبات أخلاقية، فتجده يقول عن – كرم الكلب – وهذه فضيلة أخلاقية "وهذا الكرم في الكلاب عام، فالكلب يحرس ربَّه، ويحمي حريمهَ، شاهدًا وغائبًا، ذاكرًا وغافلاً، نائمًا ويقظًا، ولا يُقصِّر في ذلك وإن جفوه، ولا يخذلهم إن خذلوه"(١). أي نوع من الكرم هذا! حيث تقدم الكلاب بدون مغالاة ما لا يقدمه الإنسان من كرم وإخاص وتفاني لمن آواه من البشر.

ويؤكد الجاحظ على هذه الضرورة الأخلاقية التي للكلاب في قوله "أن عمل الكلب هذا يدل على وفاءٍ طبيعي، وإلف غريزي، ومحاماة شديدة، وعلى معرفةٍ وصبرٍ، وعلى كرمٍ وشكرٍ، وعلى غناء عجيب ومنفعة تفوق المنافع، لأن ذلك كان يفعله من غير تكلف أو تصنع"(٢). وهذا يؤكد على وجود فكرة الأنسنة لدى الحيوان، فإذا كان الحيوان يمتلك فضائل أخلاقية كهذه، فهو بالتالي يتصف بالصفات الإنسانية، وله الحق في الحياة الكريمة مثل الإنسان.

وبالنظر إلى الفلسفة الأوروبية الحديثة نجد النظرة تجاه أنسنة الحيوان متباينة، نظرًا لتعدد المذاهب الفلسفية آنذاك، فكل فيلسوف تنبثق رؤيته تجاه الحيوان من خلال مذهبه الفلسفي، وعليها دعمت الفلسفة الحديثة الرؤية القائلة بتفوق الإنسان على

(١) الجاحظ: **الحيــوان**، الجزء الخامس، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ١٢٢.

(٢) المرجع السابق: ص١٢٣.

الحيوان. حيث يرى ديكارت أنه من الطبيعي النظر إلى الحيوانات التي هي جزء من الطبيعة باعتبارها آلات عضوية لا تخلو من العقل فحسب بل من المشاعر أيضًا(١). في حين أقرَّ فلاسفة آخرون أمثال جون لوك، بتوافر الإدراك والمشاعر لدى الحيوانات، في حين أنكر وجود خاصية مثل العقل أو القدرة على استيعاب المفاهيم العامة(٢). علمًا بأن أفكاره جاءت متضمنة تحريم القسوة على الحيوانات.

إن النص الذي استشهد به توم ريجان يؤكد على أن "جون لوك" قام بتحريم العنف ضد الحيوانات، حيث يقول في ذلك: "أحد الأشياء التي لاحظتها مرارًا لدى الأطفال، أنهم إذا وقع تحت أيديهم حيوان ضعيف، يميلون لمعاملته بُعنف، فغالبًا ما يُعذبون ويعاملون بخشونة الطيور الصغيرة، والفراشات، والحيوانات الضعيفة الأخرى المماثلة التي تقع بين أيديهم، وكل ذلك يتم بضرب واضح من اللذة، فينبغي علينا مراقبة ذلك، فإذا انحدروا نحو أي قسوة يجب تعليمهم المعاملة المعاكسة، لأن الاعتياد على تعذيب وقتل الحيوانات سوف يُقسَّي بالتدريج نواياهم حتى حيال البشر. وأولئك الذين يبتهجون بمعاناة وإبادة المخلوقات الأقل شأنًا، لن يكونوا ميالين إلى الشفقة أو اللطف مع أفراد جنسهم"(٣). وهذا النص الذي جاء على لسان جون لوك – كما يقول توم ريجان – تعبير حقيقي على القيمة الأصيلة التي يمتلكها الحيوان من إحساس ومشاعر، لذا كان واجبًا منع القسوة عن الحيوان في فلسفة جون لوك.

(١) ديفيد ديجراتسيا: **حقوق الحيوان – مقدمة قصيرة جدًا**، مرجع سابق، ص ١٦.

(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٣) توم ريجان: **حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان**، بحث منشور ضمن كتاب "الفلسفة البيئية"، تحرير/ مايكل زيمرمان، ترجمة/ معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٣٢، الكويت، ٢٠٠٦م، ص ٧٧.

وأما إذا كانت الرؤية الديكارتية تجاه أنسنة الحيوان تُبنى على العقل نظرًا للاتجاه العام الذي تبناه ديكارت ألا وهو العقلانية، نجد أن توم ريجان قام بدحض هذه الفكرة فيما بعد في تحليله مشكلة الوعي لدى الحيوان في كتابه "قضية حقوق الحيوان"، في حين جاءت رؤية الفلسفة النفعية Utilitarianism من خلال فكرة السعادة أو الإحسان، أو الأريحية في معنىً آخر، فالنزعة النفعية نظرية أخلاقية تهدف إلى تحقيق أعظم قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس(١).

لقد قدم النفعيون تفسيرًا مختلفًا – كما يقول توم ريجان(*) – للقيود التي تتصل بكيفية معاملة الحيوانات، حيث يتضمن التفسير النفعي أن رغبات الأفراد المختلفين وحاجاتهم وآمالهم عندما تكون متساوية، تُصبح ذات أهمية أو قيمة متساويةً مهما يكن الفرد أميرًا أو فقيرًا، أبيضَ أو أسودًا، ذكرًا كان أو أنثى، إنسانًا أو حيوانًا.. وهذا التفسير النفعي يعني مساواة المصالح، ودحض العنصرية والنوعانية"(٢).

إذن المعيار النفعي ليس هو تحقيق السعادة القصوى لفرد واحد، وإنما تحقيقها لجميع البشر، فالعقيدة النفعية تقرر أن السعادة هي الشيء الوحيد المرغوب فيه، وهي

(1) Darwish, B. (2009). ***Rethinking Utilitarianism,*** in teaching ethics, vol.10, p.13.

(*) يرى الباحث أن توم ريجان فَسَر الرؤية النفعية بأنها تقوم على مبدأين، هما: مبدأ المساواة، ومبدأ المنفعة ذاتها، وأن هذا المذهب يُعد أكثر المذاهب إنصافًا وأقلها تحيزًا نحو العنصرية أو الجنسانية، ومع ذلك رفض ريجان التفسير النفعي لمعاملة الحيوانات، والسبب في ذلك هو أن بيتر سينجر سار بالنفعية إلى منحدرٍ خطير ألا وهو إذا تباينت مصالح الإنسان مع الحيوان، فمن الواجب ترجيح مصالح الإنسان، وهذا القول يخالف مبدأ أنسنة الحيوان الذي يظهر بوضوح في كتابات توم ريجان، وإن لم يُصرح بهذا المبدأ، أو يكتبه صريحًا في كتاباته، في حين رؤية ريجان نفسها جاءت متناقضة عند قوله بقارب النجاة، وعليها لا فرق بين رؤية ريجان وسينجر في الإقرار بحقوق الحيوان أو أنسنته.

(٢) توم ريجان: **حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان**، مصدر سابق، ص ٧٩.

غاية منشودة، وكل الأشياء الأخرى ما هي إلا وسائل لتحقيق هذه الغاية[١]. وعلى هذا الأساس يكون المحك الرئيس في مذهب المنفعة العامة هو تحقيق السعادة للمجموع سواءً كان المجموع بشرًا أم حيوانًا.

أما مبدأ الإحسان عند النفعية الأخلاقية، فهو كما يقول فرنسيس هتشيسون Frransis Hutcheson (١٦٩٤ – ١٧٤٦م) عنه:"اسم يستبعد المصلحة الذاتية أو حب الذات، فنحن لا ندعو ذلك الرجل بأنه محسنٌ في أفعاله، إلا إذا كان في الواقع يحقق فائدة للآخرين"[٢]. وإن كان الآخرون هنا من جنس الحيوان الأعجم. فالمرء يصبح فاضلاً – على تعبير هتشيسون – إذا كانت نيته خدمة الإنسانية جمعاء، حيث لابد من تحقيق أعظم قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس[٣].

إن كان هتشيسون بنى فكرته في المساواة على أساس من الإحسان إلى الآخر، فإن جيرمي بنتام أحد الفلاسفة النفعيين – يؤسس فكرته في المساواة ودحض العنصرية بين الإنسان والحيوان على أساس فكرة المعاناة حيث يقول: "ربما يأتي اليوم الذي قد يكتسب فيه بقية المخلوقات الحيوانية تلك الحقوق التي لم يكن من الممكن حرمانها منها إلا على يد الطغيان. فسواد البشرة ليس سببًا في التخلي عن القيمة المتأصلة للإنسان، وسوف يأتي اليوم الذي نُقر فيه بأن عددَ الأرجل، أو لونَ الجلد، أو نهايةَ عظم العجز (الذيل)، هي أسباب غير كافية لكي نترك كائنًا ذا إحساسٍ يعاني نفس المصير. فما هو ذلك الشيء الذي يمكن أن يرسم الحد الفاصل بين الإنسان والحيوان؟

(1) Westermark, E. (1932). ***Ethical Relativity***, Kegan Paul, Trench, Trubner & Co, LTD, London, p.6.

(2) Hutcheson, F. (2004). ***An Inquiry into The Original of Our Ideas of Beauty and Virtue***, edited, Wolfgang Leidhold, liberty fund, inc. Indiana**,** p.103.

(3) Gill, M. B. (1996). ***A Fundamental Difference between Hutcheson and Hume***, *Hume Studies*, Volume xxii, Number 1 (April), p.25.

هل هو ملكة العقل؟ أم ملكة الحديث؟ وبما تفيد هذه التساؤلات! فالسؤال ليس هل هذه الحيوانات يمكنها التفكير؟ أو يمكنها التحدث؟ بل السؤال الذي ينبغي أن بكون هل يمكنهم المعاناة؟"(١).

إذا كانت رؤية بنتام جاءت منبثقة من فكرة المعاناة، فإنه على هذه الكيفية يتفق مع الفيلسوف الأسترالي بيتر سينجر Peter Singer (١٩٤٦م – ...)، إذ رأى الأخير أن قابلية المعاناة هي الميزة الأساسية التي تمنح الكائن الحي في اعتبارية متساوية. إن قابلية المعاناة أو الاستمتاع أو السعادة ليست مجرد ميزة إضافية شبيهة بقابلية تعليم اللغة أو الرياضيات العالية، إن قابلية المعاناة والاستمتاع بالأشياء مطلب أساسي لحيازة مصالح، وهي شرط يجب أن يتحقق قبل أن نستطيع التحدث عن المصالح بأي طريقة ذات معنى. فمن الهراء القول إنه ليس من مصلحة الحجر أن يركله طفل مدرسة على حافة الطريق. فالحجر لا يحوز أي مصالح لأنه لا يعاني. فلا شيء مما يمكننا القيام به حياله قد يُحدث أي فرق في عافيته. أما الفأر من جهة أخرى، فهو يمتلك مصلحة في ألا يتم تعذيبه، لأنه سوف يعاني إن حصل ذلك(٢). وعلى أساس فكرة المعاناة السابقة جاءت فكرة أنسنة الحيوان لدى دعاة النفعية الأخلاقية في الفلسفة الحديثة ومن تأثر بهم من الفلاسفة المعاصرين مثل بيتر سينجر.

(1) Bentham, Jeremy. (2000). ***An Introduction to the Principles of Morals and Legilation,*** *Batoche Books Kitchener, p.* xvii.
Look Also – Singer, Peter. (1999). ***Practical Ethics***, Cambridge University press, New York, Second Edition, p.57.

(٢) بيتر سينجر: ***كل الحيوانات متساوية***، بحث منشور ضمن كتاب "الفلسفة البيئية"، تحرير/ مايكل زيمرمان، ترجمة/ معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٣٢، الكويت، ٢٠٠٦م، ص٦٢.

## ثانيًا: مُختصر لحياة توم ريجان وأهم أعماله(*).

وُلد الفيلسوف الأمريكي توم ريجان في ٢٨ نوفمبر ١٩٣٨م، وهو أستاذ فخري في جامعة كارولينا بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث عمل بالتدريس بها بين عامي ١٩٦٧م، وحتى تقاعده في عام ٢٠٠١م(١). وهو يمثل واحدًا من المدافعين البارزين عن قضية حقوق الحيوان في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كتب في ذلك العديد من الكتب والمقالات حول الفلسفة الأخلاقية، وكان أهمها "قضية حقوق الحيوان" The Case of Animal Rights في عام ١٩٨٣م(٢). فهو يمثل في هذا الكتاب الفيلسوف الثوري Revolutionary الذي دعا إلى الإلغاء التام لاستخدام الحيوانات في العلوم، وكذلك الإلغاء التام لنظام الزراعة الحيوانية التجارية، وكذلك نادى بالقضاء التام على كافة أشكال الصيد الرياضي والتجاري(٣).

وتظهر أهمية معرفة حياة توم ريجان – على حد تعبيره – لفهم قضيته الثورية "الدفاع عن حقوق الحيوان"، حيث يَرْوِى مُختصرًا لقصة حياته، فيقول: "أريد الآن أن أقول شيئًا ما عن رحلتي، ليس لكونها غير عادية، ولكن لأنها رحلة وثيقة الصلة بتلك الأسئلة التي أتناولها في الفصل الأخير من هذا الكتاب، تحت عنوان "الفلسفة الخلقية والتحول" Moral Philosophy and Change ، لقد ولدت ونشأت في حي للطبقة العاملة في بيتسبرغ Pittsburgh، بنسلفانيا، حيث كان التعليم في هذا الوقت يُعد

---

(*) من خلال استقراء الباحث للموسوعات الورقية والإلكترونية (ستانفورد، البريطانية، والموسوعة الإلكترونية)، لم يجد أي مقال أو بحث يتحدث عن حياة توم ريجان كفيلسوف أو كأكاديمي في الجامعة، سوى ما ذكره توم ريجان في مقدمات كتبه، أو داخل كتبه ليبرر الدفاع عن قضيته.

(١) مصطفى النشار: ***مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الأيكولوجية المعاصرة***، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص٦٨.

(2) Regan, Tom. (2001). ***The Radical Egalitarian Case for Animal Rights,*** (in). Environmental Ethics, U.S. A. p.31.

(3) Loc – cit.

رفاهيةً وترفًا لا يستطيع تحمله كبار السن الذين يعيشون في هذه المنطقة، وبحلول الوقت الذي كان فيه والدايَّ يبلغان من العمر أربعة عشر عامًا، كانا قد تركا المدرسة، وكانا جنبًا إلى جنب مع أشقائهما وأخواتهما، يحاولان مساعدة أسرهم في تأمين نفقاتهم من خلال كسب ما يمكنهم من المال"(١).

يستطرد توم ريجان تلك المعاناة التي جعلت منه واحدًا من أهم الثوار في حركة حقوق الحيوان قائلاً: "وبعد فترة وجيزة من زواج والدايَّ، غرقت الأمة في الكساد، فقد كان العملُ شحيحًا، والأجورُ هزيلةً جدًا، حتى استطاعا أن ينجوا من هذه الأزمة الاقتصادية بفضل ادخارهم واقتصادهم في الأمور المعيشية، وقد ساعدت فترة المشقة هذه في تشكيل شخصية والدايَّ، وبعد مرور خمسين عامًا من الحصول على عمل ثابت لوالدايَّ، فهما لا يزالان يعيشان كم لو كان الاكتئابُ حقيقةً من حقائق الحياة اليومية"(٢).

أما عن الحياة العامة للأسرة، والخاصة لتوم ريجان، فتراه يقول "ولقد كان التسوق عبر الأسواق هو الشغف المشترك لوالدايَّ، حيث كان الطعامُ وحده أحدَ وسائلِ الرفاهية التي سمحوا بها لأنفسهم، فكان والدي فخورًا بكونه العائل لعائلتنا، وكانت إحدى الطرق الملموسة لقياس نجاحه هي ما كان يضعه على أطباقنا من طعام، حيث كانت اللحوم هي رمزًا للنجاح، في أن أكون قادرًا على تناول الطعام الذي لا يستطيع الفقراء تحمله خلال فترة الكساد، بمعنى أن والدايَّ كانا يعيشان الحلم الأمريكي. أما عندما دعت الحاجة إلى تحصيل المال للمساعدة في مصروفات الذهاب إلى الكلية، لم

(1) Regan, Tom. (2003). ***Animal Rights, Human Wrongs – an Introduction to Moral Philosophy, Roman*** & Littlefield publishers, Inc, U.S. A. p.1.
(2) Loc – cit.

أكن سعيدًا من الناحية الأخلاقية حين كنت أعمل في محل جزارة في ذلك الوقت، فلم أجد الذبح دمويًا، بل كان دمويًا بطريقة صعبة"(١).

يروى توم ريجان شيئًا مهمًا عن هذه المعاناة حتى في حياته الخاصة، فيقول "وفي وقت لاحق من حياتي، عندما أردت أن أُعبر عن مدى حُبي لزوجتى نانسي تورك Nancy Turk – فكم أحببتها! – قُمت بشراء قُبعة أنيقة المظهر لها، بدت القُبعة مثيرة، حيث كانت فيها زوجتي مثل جولي كريستي Julie Christie في فيلم دكتور زيفوغو Dr. Zhivugo الحائز على جائزة الأوسكار، وكان أسفي الشديد حينها، أنني كنت أفتقر إلى المال لشراء مِعطفٌ طويل من الفرو أهديه لها، فالمرأة الجميلة في نظري تستحق الفراء"(٢). وتتضح قيمة زوجته نانسي تورك في حياته، من خلال سطور مقدمة كتابه "قضية حقوق الحيوان" حيث قام بشكرها لمساندته في تأليف الكتاب، كما قدم صادق المحبة لطفليهما "بريان" Brian و "كارين" Karen، وجميعهم اشتركوا في مناصرة قضيته عن حقوق الحيوان(٣).

من خلال هذا الطرح الذي قدمه ريجان، يمكن القول إن هذه المحنة، وتلك المعاناة، هي التي جعلت منه بعد ذلك أستاذًا فخريًا للفلسفة في جامعة ولاية كارولينا الشمالية، بل واحدًا من أهم مدافعي حركة حقوق الحيوان (A R A) حيث جادل في كتابه الأخير "أقفاص فارغة – مواجهة تحدي حقوق الحيوان"، بأنه لا ينبغي للبشر استعباد الحيوانات غير البشرية، واستخدامها كوسيلة لتحقيق غاياتهم. وظل توم ريجان على هذه الدرجة من الحماسة من أجل إثبات حقوق الحيوان – كما هي – عند الإنسان، حتى وافته المنية في يوم الجمعة السابع عشر من شهر فبراير لعام ٢٠١٧م،

(1) Ibid: p.2.
(2) Loc – cit.
(3) Regan, Tom. (1983). ***The Case for Animal Rights,*** University of California Press, U.S. A. p. xv.

عن عمر يناهز الثامنة والسبعين، بعد معركة قصيرة مع الإلتهاب الرئوي[1]. تاركًا لنا مجموعة من المولفات[*] المهمة في قضية حقوق الحيوان، أهمها:

١. الكل مقيم بداخله (١٩٨٢م) All that Dwell there in

٢. قضية حقوق الحيوان (١٩٨٣م) The Case for Animal Rights

٣. ذبائح الحيوان (١٩٨٧م) Animal Sacrifices

٤. النضال من أجل حقوق الحيوان (١٩٨٧م).

The Struggle for Animal Rights

٥. حقوق الحيوان وواجبات الإنسان (١٩٨٩م).

Animal Rights and Human obligation

٦. مناقشة حقوق الحيوان (٢٠٠١م). The Animal Rights Debate

٧. حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان: مقدمة في فلسفة الأخلاق (٢٠٠٣م).

Animal Rights & Human Wrongs – an Introduction to Moral Philosophy.

٨. أقفاص فارغة: مواجهة تحدي حقوق الحيوان (٢٠٠٥م).

Empty Case – Facing the Challenge of Animal Rights

٩. دفاع عن حقوق الحيوان (٢٠٠٦م).

Defending Animal Rights

١٠. الأمم الأخرى: الحيوانات في الأدب الحديث (٢٠١م).

Other Nations – Animals in Modern Literature

---

(1) Raha, Rosamund. (2017). ***Tom Regan Philosopher and Animal Rights Pioneer 1938 – 2017,*** the Vegansociety, Feb 20, 2017. Accessed Nov 12, 2020. https://www.vegansociety.com/news/blog/tom-regan-philosopher-and-animal-rights-pioneer-1938-2017.

(*) حصل الباحث على قائمة هذه المؤلفات من خلال قيامه بتحليل كتابات توم ريجان، حيث كان ريجان يعود إلى كتاباته السابقة في أعماله، وقد قمت بجمع الكتابات فقط دون المقالات، وبصفة خاصة ما يهم موضوع البحث، كما قام الباحث بترتيبها من الأقدم إلى الأحدث من حيث النشر.

## ثالثًا: حقوق الحيوان بوصفها حقوقًا طبيعية.

هل يمكن القول إن للحيوانات غير البشرية حقوق؟ وإلى أي مدى يمكن الإيمان بهذه الفكرة؟ وما الكيفية التي تبدو بها هذه الحقوق في فلسفة ريجان؟

هذه الإشكالية يمكن القول عنها بأنها صُلب فلسفة توم ريجان في أخلاقيات البيئة بشكل عام، وصُلب حركة حقوق الحيوان التي تزعمها بشكل خاص، حيث نوَّه توم ريجان إلى أولئك الذين يقرأون كتبه من خارج نطاق مهنة الفلسفة، وبغض النظر عن الانخراط في الأنشطة المتعلقة بالرفق بالحيوان، قائلاً لهم: "يجب التماس صبرك بشكل خاص، وخاصة إذا كنت مشاركًا في إحدى الاستخدامات المصنوعة من الحيوانات التي تتعرض للنقد، مثل استخدامها في العلوم أو الزراعة"(١).

من خلال هذا التنويه في إشكالية حقوق الحيوان يرى توم ريجان أن البشر يعطون إجابات مختلفة حول هذه الإشكالية، والاختلاف هنا يرجع إلى اختلافهم حول الوقائع، وأحيانًا يُعطون إجابات مختلفة نظرًا لاختلافهم حول القيم، فترى البعض يعتقد أن بعض الحيوانات مثل القطط، والكلاب، والدجاج، والخنازير لا تشعر بأي شيء، في حين يعتقد البعض الآخر عكس ذلك، وهذا ناتج لاختلافهم حول الوقائع والقيم(٢). وهذه الاختلافات – كما يرى ريجان – مهمة بالتأكيد، وسيتم مناقشة كلا النوعين على طول الطريق، وهذا الاختلاف لا يعد مصدرًا رئيسًا للانقسام(٣).

يعتقد بعض الناس إن فكرةَ حقوق الحيوان مرادفةٌ لفكرة الرفق بالحيوان، والبعض الآخر يعتقد أن هذه الفكرة تعني أنه من الواجب أن نكون لُطفاء مع الحيوانات. وبما أننا يجب أن نكون لُطفاء مع الحيوانات، فإن الاستنتاج هنا يبدو

(1) Regan, Tom. ***The Case for Animal Rights,*** op. cit, p.xii.
(2) Regan, Tom. (٢٠٠٤). ***Empty Cages – Facing the Challenge of Animal Rights,*** Rowman and Littlefield Publishers, Inc, U.S. A. p. 9.
(3) Loc – cit.

واضحًا تمامًا، بمعنى: إن للحيوانات حقوقًا أو ينبغي على الإنسان تجنب القسوة في معاملة الحيوانات، وبما أننا لا ينبغي أن نكون قاسين على الحيوانات غير البشرية، فإن النتيجة ذاتها تُصبح إن للحيوانات حقوق. وفي ظل أي من هاتين الطريقتين لفهم فكرة حقوق الحيوان، نجد أنه من الصعوبة أن نفسر السبب وراء إثارة الجدل الشديد حول هذه الفكرة، إذ ترى المدافعين عن حقوق الحيوان يقفون على جانب، في حين يقف معارضو هذه الفكرة على الجانب الآخر(١). وعلى هذه الجدلية جاء الإفتراضان التاليان:

الأول: إن للحيوانات حقوقًا أخلاقية أساسية معينة.

الثاني: الإعتراف بحقوق الحيوان يتطلب تغييرات جوهرية في معاملتنا لها(٢).

يحاول توم ريجان توضيح ما سبق طرحه برؤيته العميقة حول إيمانه بحقوق الحيوان، حيث يقول: يخبرنا الجدل المحتدم، والذي غالبًا ما يكون حادًا، بين المدافعين عن فكرة حقوق الحيوان ومعارضيهم، أن طرق التفكير المألوفة هذه، والتي تُفيد (يجب أن نكون لطفاء مع الحيوانات، ولا ينبغي أن نكون قاسين معهم) تفشل في فهم المعنى الحقيقي لحقوق الحيوان. حيث إن المعنى الحقيقي لهذه الفكرة، بسيط وعميق، وهي فكرة بسيطة، لأنها على المستوى الأساسي، تعني فقط أن الحيوانات لها الحق في أن تُعامل باحترام، وهي فكرة عميقة لأن آثارها بعيدة المدى، أي على المدى البعيد. فالعالم من المكن أن يتغير لمجرد أن نتعلم كيفية معاملة الحيوانات باحترام (٣). وفيما يلي بعض الأمثلة التي من الممكن أن تؤدي إلى تغيير العالم في حالة تطبيقها، وهي:

- سيتعين علينا التوقف عن تربية الحيوانات من أجل لحومها.
- سيتعين علينا التوقف عن قتلهم بسبب فرائها.

(1) Loc – cit.
(2) Regan, Tom. ***The Case for Animal Rights,*** op. cit, p.xii.
(3) Regan, Tom. ***Empty Cages,*** op. cit, p. 9.

- سيتعين علينا التوقف عن تدريبهم للترفيه عنا.
- سيتعين علينا التوقف عن استخدامها في البحث العلمي.

يوضح كل مثال من الأمثلة السابقة المنطق الأخلاقي ذاته، عندما يتعلق الأمر بكيفية استغلال البشر للحيوانات، فإن الاعتراف بحقوقهم يتطلب الإلغاء Abolition وليس الإصلاح Reform، فأن تكون لطيفًا مع الحيوانات لا يكفي، وأن تتجنب القسوة لا يكفي أيضًا، سواءً كنا نستغل الحيوانات في الأكل، أو الملبس، أو للترفيه عنا، أو للتعلم، فإن حقيقة حقوق الحيوان تتطلب أقفاصًا فارغة، وليس أقفاصًا أكبر(١). وهذا النداء يُعنى الحرية لجميع الكائنات الحية، سواءً كانت بشرًا أو حيوانًا أو نباتًا، وبالتالي يمكن أن يتصف سلوك الحيوان بأنه سلوكٌ أخلاقيٌ أو غير أخلاقيَّ مثل سلوك الإنسان تمامًا، لأن توافر الحرية هي شرط رئيس من شروط الفعل الخلقي(٢).

إن القسوة على الحيوانات هي بمثابة ضرر مباشر لها، لذلك جادل ريجان بأن الحيوانات هي موضوعات الحياة أو رعايا الحياة، لأنهم يمتلكون قيمة باطنة Inherent Value، وعليها يكون لهم اعتبارات أخلاقية(٣). فحقوق الحيوان مثل حقوق البشر، إذ أن النظرية الأخلاقية للبشر يجب أن تشمل جميع الحقوق الأخلاقية، وإن عدم أخذ الحقوق على محمل الجد يمكن أن يؤدي – بكل سهولة – إلى اعتبار الكائنات البشرية لا يملكون سوى قيمة آلية، وقيمة أخرى للمنافع التي يمكن أن يجلبها الإنسان للآخر، وهذا يعني فقدهم للقيمة الباطنة، التي هي قيمة في حد ذاتها،

(1) Ibid: p.10.

(٢) إمام عبد الفتاح إمام: ***الفيلسوف والحيوان – حوار بين العاقل والأعجم***، دار صبح للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٦٥.

(3) Petersen, H. Jean. (2006). ***The Relevance of the Animal Liberation Movement to Environmental Ethics,*** A thesis submitted of Doctor in Philosophy, Faculty of the Graduate School of the University of Colorado. p.32.

فالإعتراف بالقيمة الباطنة يُعني احترام الحقوق الأخلاقية لكل الكائنات الحية، وعدم الإضرار بالكائن الحي من أجل تعزيز مصالح الآخرين(١). وعليها تم تطوير الأساس الذي أطلق عليه ريجان "الرؤية الحقوقية للرفق بالحيوان" بدقة ووضوح من خلال المبادئ التي من المفترض أن يكون لها تطبيق عام في مجال العلاقات الأخلاقية البشرية، وهذا يُعد في حد ذاته نداءً قويًا لإصلاحات شخصية واجتماعية وسياسية بعيدة المدى(٢). ومن خلال هاتين الفكرتين (موضوعات الحياة – القيمة الباطنة) بنى توم ريجان حركة حقوق الحيوان بوصفها حقوقًا طبيعية واجبة بحكم الطبيعة، لذا كان لابد من مناقشة هاتين الفكرتين على النحو التالي:

**(أ). الحيوانات موضوعات الحياة.**

تنقسم الكائنات غير البشرية إلى كائنات حاسة مثل الحيوانات، والنباتات، وكائنات تفتقد إلى الشعور والإحساس. واحترام الطبيعة يُعني عدم إيذاء أي من الكائنات غير البشرية: الحيوانات، النباتات، الصخور، البحار، الوديان، وغيرها. ولا شك أن إيذاء الحيوان بتعريضه دون مبرر للآلام أمر مرفوض بشكل عام، أي ليس في حاجة لتبرير(٣). لذا حدد توم ريجان مجموعة من الحقوق الأخلاقية المتعلقة بالكائنات الحية جميعًا، وهي: حق عدم انتهاك حقوق الغير أو التعدي عليه، وحق المساواة، وحق عدم الحصول على فوائد من انتهاك حقوق الغير، بمعنى أن الفوائد التي يستمدها

(1) Cohen, Carl & Regan, Tom. (2001). ***The Animal Rights Debate,*** Rowman & Littlefield Publishers, Inc, U. S. A, p.581.

(2) Jacquette, Dale. (1985). ***The Meaning of Animal Rights,*** Human Studies, Vol. 8, p.389.

(٣) بهاء درويش: ***أخلاقيات العلم والتكنولوجيا وتطبيقاتها في الواقع المعاصر،*** دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٢١م، ص ٤٩.

الآخرون من انتهاك حقوق غيرهم لا تبرر انتهاكهم لها على الإطلاق، وكذلك حق الاحترام(١).

إن فكرة حق الاحترام في فلسفة ريجان الأخلاقية تفترض وجود مسافة بين المحترِم وموضوع الاحترام، مثلما تفترض الرؤية مسافة بين المرئي والرائي، فالاحترام يفترض هذه الثنائية التي يفترضها الحب، ولكن في الحب يذوب المُحب في المحبوب، ولا يراه رؤية موضوعية، أما في الاحترام تكون النظرة أكثر موضوعية(٢). وعليها جاءت الفكرة في فلسفة ريجان الأخلاقية من أجل إسناد الحقوق والقيمة الباطنة للإنسان والحيوان على السواء. فنحن لا نملك الحيوانات لكي نستخدمها كما نُريد، فكلاهما متشابه ومتساوٍ في كونهما مخلوقات ذات وعي وشعور، وهما أيضًا يمثلان موضوعات الحياة، واستخدامهما كوسيلة لتحقيق غايات الآخرين (مثل: أكل لحومها، ولبس فرائها، واستخدامها في المزارع أو التجارة أو التجارب العلمية) يُشكل انتهاكًا لحقوقهما(٣). وعليها يكون السؤال الذي يطرح نفسه، من الذي يمتلك هذه الحقوق في فلسفة توم ريجان الأخلاقية؟

يرى توم ريجان أن الإجابة عن هذا السؤال تعتمد بشكل كبير على ما يسمى بفكرة "موضوعات الحياة"، لأنها تبرر تماثُلنا الأخلاقي ومساواتنا الأخلاقية، فنحن بوصفنا موضوعات للحياة، كلنا موجودون في العالم نفسه، وندرك جميعًا ما في العالم،

---

(١) مصطفى عبد الرؤوف راشد: ***مباديء احترام الطبيعة في فلسفة بول تايلور الأخلاقية – بحث في منطق الأخلاق الإيكولوجية***، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الثامن والعشرون، القاهرة، ٢٠١٩، ص ٢٣٠.

(٢) بهاء درويش: ***أخلاقيات العلم والتكنولوجيا وتطبيقاتها في الواقع المعاصر***، مرجع سابق، ص ص٥٠ : ٥١.

(3) Hospers, John. (1983). ***The Case for Animal Right By Tom Regan,*** University of California Press, Reason Papers, No.10, p.14.

ونحن جميعًا بمنزلة الشيء نفسه، لأن ما يحدث لنا في العالم يهمنا، وما يحدث في العالم أيضًا يهمنا. لأن ذلك يحدث فروقًا في نوعية حياتنا ومدتها. ونحن بوصفنا موضوعات للحياة، فليس هناك أسمى ولا أعلى، ولا أكبر ولا أقل، فنحن جميعًا لنا اعتباراتنا الأخلاقية، ونحن جميعًا متساوون أخلاقيًا في الحقوق(١).

لقد فحص توم ريجان المعايير التي من خلالها يتم تقييم النظريات الأخلاقية، وانتقد تلك الرؤى التي لا تعترف بحقوق الأفراد ذوي الاهتمامات، حيث يرى أن الكائنات المسئولة أخلاقيًا Moral Agent والكائنات غير المسئولة أخلاقيًا Moral Patients لهم حقوق تفرض واجبات على الكائنات المسئولة أخلاقيًا لمعاملتهم باحترام لكونهم مالكين للقيمة الباطنة، فالحيوانات غير مسئولة أخلاقيًا، وليس لديهم القدرة المسئولية الأخلاقية لأنهم ليسوا مسئولين عما يفعلونه، لكن للثديات غير البشرية قيمة باطنة مساوية لقيمة البشر، لأنها ليست على قيد الحياة فقط مثل (النباتات المنزلية، والرخويات، والأورام السرطانية) لأنها تمتلك الحياة أو بعبارة أدق موضوعات الحياة، لذلك يمكن تحسينها أو جعلها أسوأ من خلال تجربة اللذة والألم(٢).

يُعد الفرد في فلسفة توم ريجان الأخلاقية موضوعًا في الحياة، إذا كان لديه معتقدات ورغبات، وإذا كان لديه الإدراك، والذاكرة، والشعور بالمستقبل بما في ذلك مستقبلهم، وإذا كان لديه حياة عاطفية مصحوبة بمشاعر اللذة والألم، وإذا كان يملك التفضيل والمصالح الاجتماعية، وكذلك القدرة على الشروع في العمل لتحقيق رغباته وأهدافه، وإذا كانت لديه هوية نفسية فيزيائية مع مرور الوقت، ورفاهية الفرد تُعنى أن

(1) Regan, Tom. (2013). ***Animal Rights and Environmental Ethics***, (in). The Structural Links between Ecology, Evolution and Ethics, Edited by, Donato Bergandt, Springer, New York, p.118.
(2) Jacquette, Dale. ***The Meaning of Animal Rights,*** op. cit, p.390.

تكون حياتهم التجريبية المعاشة خيرة أو سيئة بالنسبة لهم، وبشكل مستقل منطقيًا عن منفعتهم للآخرين، وبشكل مستقل منطقيًا عن كونهم موضوعًا لمصالح الآخرين(١).

يمكن الإشارة إلى هذه الشروط السابقة مجتمعة تحت معيار موضوعات الحياة، فهذه الشروط على حد تعبير ريجان مُرضية بالتأكيد من قبل جميع البشر تقريبًا، بما في ذلك الأطفال الصغار، والمرضى العقليين(٢). وهنا يبدو توم ريجان متأثرًا بفيلسوف الحضارة "ألبرت أشفيتسر" بل ومتفقًا معه، حيث يقول عنه ريجان بأنه أشهر مفكر يدعو إلى مبدأ "احترام الحياة" Reverence for life لأنه حدد الكيفية التي ينبغي أن نحيا بها، ليس فقط فيما يتعلق ببعضنا البعض في علاقاتنا المتبادلة كعوامل أخلاقية، ولكن أيضًا فيما يتعلق بكيفية تعاملنا مع الكائنات الحية الأخرى، بما في ذلك الكائنات غير المسئولة أخلاقيًا(٣). فالجميع عاشقٌ للحياة بفطرته، سواءً كان إنسانًا أو حيوانًا.

ولقد حدد ألبرت أشفيتسر مبدأ "احترام الحياة" – على حد تعبير توم ريجان – في قوله: إني حياة تريد أن تحيا، وسط الحياة لابد أن تحيا"(٤). وأيضًا في قوله: "إن توقير الحياة لا يسمح لأي فرد في أن يتخلى عن الاهتمام بشئون الدنيا، بل يحمله حملاً على الاهتمام بكل حياة تقوم من حوله، وعلى أن يشعر بأنه مسئول عنها"(٥). وهذا يعني، أن فكرته في "احترام الحياة" تقتضي منا المشاركة في الحياة، والمحافظة

(1) Rowlands, Mark. (2009). ***The Animal Rights – Moral Theory and Practice***, Palgrave Macmillan, New York, p.59.
(2) Loc – cit.
(3) Regan, Tom. ***The Case for Animal Rights,*** op. cit, p.242.
(4) Loc – cit.
(٥) ألبرت أشفيتسر: ***فلسفة الحضارة***، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مراجعة: زكي نجيب محمود، المؤسسة المصرية العامة للترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٤٠٣.

عليها[١]. وعليها تكون الحياة هي العامل الحاسم والوحيد في تحديد الاعتبار الأخلاقي لجميع الكائنات الحية على حدٍ سواء، فالحياة نفسها بكل أسرارها وعجائبها تستحق منا كل احترام وعناية وتقدير[٢].

ومن ناحية أخرى، إذا كانت الحيوانات تمثل موضوعات الحياة في فلسفة توم ريجان، فذلك يبدو – أيضًا – لامتلاكها القيمة الأصيلة Intrinsic Value وعليها لم يتفق ريجان مع برنامج بيتر سينجر النفعي لتحرير الحيوان، لأنه يرفض النفعية لكونها تفتقر إلى القيمة الأصيلة، فالحيوانات والبشر في فلسفة ريجان الأخلاقية يتمتعون بقيمة أصيلة متساوية Equal Intrinsic، يقوم عليها حقهم في الحياة ومخاوفهم[٣]. وعليها تُصبح فكرة احترام الحياة أو موضوعات الحياة الركيزة الأولى التي بنى عليها توم ريجان فلسفته في الدفاع عن حقوق الحيوان بوصفها حقوقًا طبيعية كالتي يمتلكها البشر تمامًا.

يحاول ريجان أن يثبت حقَّ الحياة للحيوانات قياسًا على حق البشر في الحياة، حيث يقول: "لنفترض أننا نقول إن الأسباب التي دفعتنا إلى القول بأن جميع البشر وحدهم موجودون كغايات في حد ذاتها، هي أولاً: أن لكل إنسان اهتمامات إيجابية مختلفة، مثل الرغبات، والأهداف، والآمال، والتفضيلات وما شابه ذلك، كالرضا أو الإدراك الذي يجلب قيمة أصيلة لحياتهم، في شكل تجارب قيمة في جوهرها؛ وثانيًا: أن القيمة الأصيلة التي جلبتها حياة أي إنسان من خلال إشباع رغباته أو تحقيق أهدافه، هي قيمة خيرة، ويُحكم عليها في حد ذاتها ، مثل القيمة الأصيلة التي جلبتها حياة أي

(1) Evans, Claude. J. (2005). ***With Respect for Nature - Living as Part of the Natural World***, State University of New York Press, New York, p.50.

(٢) مصطفى عبد الرؤوف راشد: ***مباديء احترام الطبيعة في فلسفة بول تايلور الأخلاقية – بحث في منطق الأخلاق الإيكولوجية***، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

(3) Regan, Tom. ***The Radical Egalitarian Case for Animal Rights,*** op.cit, p.31.

رجل آخر من خلال إرضاء أو تحقيق تلك الرغبات والأهداف المماثلة التي تصادف أن تكون لديه. بهذا المعنى تكون النتيجة هي أن جميع البشر متساوون، وبسبب هذه المساواة بين جميع البشر، قد يُزعم أي رجل أن لكل إنسان الحق نفسه مثل أي شخص آخر في السعي لإشباع رغباته، وتحقيق أهدافه، لفترة طويلة، على الأقل، أنه بذلك لا ينتهك حقوق أي إنسان آخر"(١).

يستطرد ريجان هذه الحجة فيقول: "الآن، بما أن هذا الخط من الجدل مستمر، لا يمكن لأحد أن يسعى لإشباع رغباته أو تحقيق أهدافه إذا مات، وبالنظر إلى حقيقة أن كل إنسان له نفس الحق مثل أي شخص آخر في السعي لإرضاء رغباته، وتحقيق أهدافه، ومن ثم فإن قتل حياة أي إنسان سيكون من البديهي أن ينتهك حقًا يتقاسمه على قدم المساواة مع جميع البشر – أي حقه في الحياة "(٢). وبدعم هذه الفكرة التي ترى أن جميع البشر لهم حق طبيعي متساوٍ في الحياة. فإن هذه الحجة ستكون مرتبطة بالحجة الثانية الأكثر معقولية، وهي أن الحيوانات أيضًا لها نفس الحق الطبيعي في الحياة(٣).

وإذا كان الحجة ترى أن الحيوانات ليس لها حقٌّ طبيعيٌّ في الحياة، سيترتب عليها أيضًا أن ليس كل البشر لهم الحق في الحياة(٤). ويبرهن ريجان على هذه الحجة بقوله: "وما دمنا نعتقد أننا مبررون منطقيًا في إسناد هذا الحق إلى البشر، وبالنظر إلى كل هذه الظروف، أعتقد أننا ملتزمون بالقدر نفسه بالرأي القائل بأنه لا يمكن تبرير قتل أي واحد أو أي عدد من الحيوانات من أجل الخير الكبير الذي قد يجلبه موتهم إلينا.

(1) Regan, Tom. (1976). ***Do Animals have a Right to Life,*** **(in)** Animal Rights and human obligations, Edited by, Tom Regan and Peter Siger, prentice – Hall, Inc, Englewood Cliffs, N.J, U. S. A, p. 200.
(2) Loc – cit.
(3) Loc – cit.
(4) Ibid: 197.

أنا لا أقول إنه لا توجد ظروف يمكن أن يكون لنا فيها ما يبرر قتلهم. ما أقوله هو أننا لا نستطيع تبرير القيام بذلك في حالتهم، أكثر مما نستطيع في حالة ذبح البشر، من خلال القول بأن مثل هذه الممارسة تجلب تجارب قيّمة في جوهرها للآخرين"[١]. فالحيوان مثل الإنسان يريد الحياة، وبناءً على ما تقدم يرى ريجان أنه من الواجب على أي شخص غير نباتى، أن يوضح لنا كيف أن أسلوب حياته لا يسهم في الممارسات التي تتجاهل بشكل منهجي الحق في الحياة الذي تمتلكه الحيوانات، إذا كان من المفترض أن يمتلك البشر هذا الحق على أساس أكثر الحجج المعقولة التي تم تناولها[٢]. من هذه الحجة يرى ريجان أنه إذا كان التخلي عن أكل اللحوم أمرٌ صعبٌ أو مستحلٌ، فلننظر إلى حياة دافنشي الذي رفض أكل اللحوم، لأنه لا يأكل لحم أصدقائه، وبما أن الحيوانات هي أصدقاؤه، فإنه لا يأكل لحومهم[٣].

إن حجة ريجان في معيار الحق في الحياة تتخطى التمييز بين الكائنات المسئولة أخلاقيًا والكائنات غير المسئولة أخلاقيًا، فكلاهما يمكن أن يكون موضوعات الحياة، حيث يجادل ريجان بأن هذا التشابه الأخلاقي وثيق الصلة بين الكائنات المسئولة أخلاقيًا والكائنات غير المسئولة، وعليها كان لابد من وجود طريقتين مختلفتين يمكن من خلالهما فهم معيار موضوع الحياة، الطريقة الأولى: تسمى بالتأويل القوي The Strong Inerpretation وهي تعني أنه يجب على الفرد تلبية جميع الشروط المذكورة سابقًا من أجل التأهل كموضوعٍ في الحياة، وهكذا فإن الشروط مجتمعة تُشكل مجموعة من الشروط الضرورية والكافية لشيء ما ليكون موضوعًا للحياة، فلكي تكون موضوعًا للحياة يجب أن تمتلك جميع الصفات المدرجة في وصف ريجان[٤].

(1) Ibid: 202.
(2) Loc – cit.
(3) Regan, Tom. ***The Case for Animal Rights,*** op. cit, p. 83.
(4) Rowlands, Mark. ***The Animal Rights,*** op. cit**,** p.60.

أما الطريقة الثانية: فتسمى بالتأويل الضعيف The Weak Inrepretation وهي تعني أن القيود التي تفرضها الميزات الموجودة في قائمة ريجان أكثر ليونة إلى حد ما، ووفقًا لهذه الطريقة، فلكي تكون موضوعًا للحياة، يجب أن تفي بمعظم الشروط السابقة التي ذكرها ريجان، ولكن ليس بالضرورة كلها، حيث يمكن أن تختلف الشروط التي يمكن استيفاؤها من حالة إلى أخرى، فمن الممكن لفرد واحد أن يتأهل ليكون موضوعًا في الحياة لكونه يُلبي شروط الإدراك، والاعتقاد، والرغبة، والذاكرة، والحياة العاطفية، وكذلك الهوية النفسية الجسدية بمرور الوقت، وما إلى ذلك، ولكنه لا يملك الإحساس بالمستقبل، في حين قد يكون لفرد آخر إحساسٌ بالمستقبل (أي توقعات) ولكن لا توجد لديه نفسية فيزيائية واضحة(١).

من خلال ماسبق، ينتهي توم ريجان إلى إسناد الحقوق الطبيعية والقيمة الباطنة على هؤلاء البشر المختلفين، ويتمتعون بقدرات عقلية تماثل بعض الثدييات العادية غير البشرية. إن الإصرار على أن البشر يستحقون هذا الاحترام بينما الحيوانات غير البشرية لا يستحقونه، هو بمثابة تبني للنزعة الشوفينية للأنواع غير المبررة Species Chauvinism والبديل لابد من الاعتراف بأن للإنسان والحيوان حقوقًا، وأن البشر ككائنات مسئولة أخلاقيًا مُلزمون أخلاقيًا بالتصرف تجاه الحيوانات بالاحترام الذي يستحقونه بصفتهم موضوعات الحياة، وأصحاب القيمة الباطنة، والامتناع عن إيذائهم بالتعديات أو الحرمان، وحمايتهم من انتهاك حقوقهم من جهة أي كائنات مسئولة أخلاقيًا غيرهم(٢). وعليها كانت حركة حقوق الإنسان مساوية لحركة حقوق الحيوان، فعلى حد تعبير ريجان لا يمكن تقديم أي قضية للاعتراف بحقوق الحيوان في حالة فشل الدفاع عن حقوق الإنسان، وكما أنني أحاول أيضًا الدفاع عن

(1) Ibid: p.61.
(2) Jacquette, Dale. ***The Meaning of Animal Rights,*** op. cit, pp.390: 391.

بعض حقوق الإنسان، لذا كان واجبًا إسكات أولئك الذين يرفضون أنصار حقوق الحيوان على أنهم معادون للإنسان، فأن تكون من أجل الحيوانات لا تُعني أن تكون ضد الإنسانية، فحركة حقوق الحيوان هي جزء من حركة حقوق الإنسان، وليست مناهضة لها[١].

**(ب). القيمة الباطنة للحيوانات.**

يُعد توم ريجان واحدًا من أهم منظري حقوق الحيوان تأثيرًا في العالم، حيث تُعد قضية حقوق الحيوان التي تبناها في كتاباته من أهم النصوص التي جعلت لقضية حقوق الحيوان مركزًا للصدارة السياسية والفلسفية في العالم، وغالبًا ما تُقارن قضية توم ريجان بأعمال بيتر سينجر صاحب الصوت الرئيس لنظرية تحرير الحيوان، وذلك على الرغم من كون رؤية ريجان – كانطية – في إثبات حقوق الحيوان، حيث تؤكد رؤيته على القيمة الأصيلة التي يمتلكها الحيوان مثل البشر، وهذا القول جعل رؤية ريجان تختلف مع رؤية بيتر سينجر النفعية، والتي مفادها أن البشر لهم الحق في استخدام الحيوانات كوسيلة لتحقيق غاياتهم، لأن البشر – كما يرى – لهم القيمة الأصيلة الأكبر[٢]. ولهذه الفكرة أصبح ريجان خصمًا للنفعية التي تبناها سينجر، حتى قال عنها "الخصم النظري الرئيس أو العدو الرئيس"[٣]. لأنه يرى باختصار أن جميع الكائنات الحية سواءً كانت مسئولة أخلاقيًا أم غير مسئولة تُعد غايات في حد ذاتها[٤]، وبهذه الفكرة يختلف ريجان مع كانط وسينجر.

(1) Regan, Tom. ***The Case for Animal Rights,*** op. cit, p. xiii.
(2) Raha, Rosamund. ***Tom Regan Philosopher and Animal Rights Pioneer 1938 – 2017,*** op. cit.
(3) Regan, Tom. (1982). ***All That Dwell There In – Essays on Animal Rights and Environmental Eghics,*** University of California Press, p. 75.
(4) Regan, Tom. ***The Case for Animal Rights,*** op. cit, p. 175.

من خلال الطرح السابق، يُعلق توم ريجان على الكيفية التي تظهر من خلالها القيمة الباطنة – التي هي قيمة في ذاتها – فيرى أن من يمتلكون القيمة الباطنة لديهم قيمة في حد ذاتها، لكونها قيمة تختلف تمامًا ولا تتساوى مع أي قيمة ناشئة من خلال التجربة الحياتية التي يعيشونها، مثل قيمة السعادة أو المتعة، ولا يمكن رد القيمة الباطنة إلى هذه القيم غير الجوهرية، لأن القيمة الباطنة هي في حد ذاتها قيمة أصيلة(١)، وعليها كان واجبًا – على تعبير توم ريجان – أن نعامل الأفراد كغاية وليس كوسيلة، باعتبارهم يملكون القيمة في حد ذاتها، وهذا القول يتضح عندما نقوم بإيذاء أي فرد، بمعنى أن نتعامل معه كمجرد وسيلة تتحدد قيمتها بمقدار اسهامه في المصلحة الجماعية، فإن إيذاء الكائنات الحية لأجل منفعة أو متعة أي جماع بشرية، هو انتهاك لحقهم في عدم الأذى(٢). فعلى سبيل المثال إن الزعم بأن كلبًا أو إنسانًا يحظى بمكانة ما، فإنه يحظى بها بما له من قيمة في ذاته، وليس بسبب علاقاته بالبشر، وعليها فإن مصالح ورفاهية الكائنات الحية تُعد قضية مهمة، يجب النظر إليها بعيدًا عن مدى تأثر البشر بها(٣).

ما سبق يؤكد على إن توم ريجان يرى أن جميع الكائنات الحية، والتي تُعد موضوعات الحياة لديها قيمة باطنة، وفكرة أن تكون موضوعًا في الحياة لهو شرط كافٍ لامتلاكها القيمة الباطنة، وليس شرطًا ضروريًا، بمعنى: إذا كنت موضوعًا في الحياة، فأنت تمتلك قيمة باطنة، ولكن إذا لم تكن موضوعًا في الحياة، فهذا لا يُعني

(1) Ibid: p. 236.

(٢) توم ريجان: **حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان**، مصدر سابق، ص ٨٦.

(٣) ديفيد ديجراتسيا: **حقوق الحيوان – مقدمة قصيرة جدًا**، مرجع سابق، ص 24.

بالضرورة أنه ليس لديك قيمة باطنة، لذلك من الممكن أن يكون للبشر والحيوانات الذين لا يستوفون معيار موضوع الحياة قيمة باطنة(١).

يحاول توم ريجان تفسير ماهية القيمة الباطنة، ومن الذي يمتلكها؟، فيرى إن أولئك الذين يُقصرون القيمة الباطنة على الكائنات المسئولة أخلاقيًا يشبهون إلى حد كبير الفيلسوف الألماني – إيمانويل كانط – لأنهم يُقصرون هذه القيمة على الأفراد التي لديها قدرات أساسية لفهم الفاعلية الأخلاقية، لا سيما القدرة على تقديم أسباب محايدة للتأثير على عملية صُنع القرار لدى المرء(٢).

إن مفهوم القيمة الباطنة الذي ينطوي عليه افتراض القيمة الباطنة ذاتها، يُعد مفهومًا أكثر كاثوليكية، وينطبق على الأفراد غير المسئولة أخلاقيًا من البشر، والذين يفتقرون إلى القدرات اللازمة للمسئولية الأخلاقية، لذلك لابد من النظر إلى الكائنات المسئولة أخلاقيًا والكائنات غير المسئولة على أنهم يتمتعون بقيمة باطنة متساوية(٣). أما بالنسبة لإسناد القيمة الباطنة للكائنات الحية، فيمكن القول إن القيمة الباطنة لا تتغير بتغير أي خاصية جسدية (مثل وجود عينان أو خمسة أصابع)، وكذلك لا تتغير وفقًا لعضوية الأنواع (مثل الانتماء إلى نوع معين)، وكذلك لا يجوز للتصنيفات البيولوجية العامة بوصفه حيوانًا أو غير ذلك. فالسمات المشتركة بين جميع الكائنات المسئولة أخلاقيًا والكائنات غير المسئولة أخلاقيًا هي كونهم جميعًا على قيد الحياة، وإن امتلاك هذه الخاصية هي التي تميز فئة الأفراد الذين لديهم قيمة باطنة من أولئك الذين لا يملكون شيئًا(٤). فإذا رأيت شخصًا ما على وشك قتل طفل صغير أو حيوان ما بحجر، فأنت ملزم أخلاقيًا بموجب وجهة نظر الحقوق في امتلاكهم القيمة الباطنة، أن

(1) Rowlands, Mark. ***The Animal Rights,*** op. cit**,** p.61.
(2) Regan, Tom. ***The Case for Animal Rights,*** op. cit, p. 241.
(3) Loc - cit.
(4) Loc - cit.

تفعل كل ما بوسعك لمنع ذلك، أما إذا تم إزاحة الحجر نفسه بفعلٍ طبيعي، فوفقًا لفلسفة ريجان الأخلاقية، تُصبح أنت غير ملزم أخلاقيًا بالتصرف على الإطلاق(١).

تصبح هذه المشكلة حادة أيضًا عند النظر في حماية الحيوانات من الحيوانات الأخرى، حيث يؤكد ريجان أنه لا يوجد التزام أخلاقي لحماية الأغنام من الذئاب، لأن الذئاب على عكس البشر لا تنتهك حقوق الأغنام عندما تقتلها وتأكلها. إن الذئاب والأغنام كائنات غير مسئولة أخلاقيًا وليست كائنات مسئولة عن أفعالها، ووحدهم فقط الكائنات المسئولة أخلاقيًا من ينتهكون حقوق الآخرين(٢). وعليها قرر ريجان بأن علينا واجبًا ظاهريًا لمساعدة تلك الحيوانات التي تُنتهك حقوقها، لذلك فإننا لا ندعي أنه من واجبنا مساعدة الأغنام ضد هجوم الذئاب، لأن الذئاب لا تستطيع أن تنتهك حقوق أي شخص(٣).

إن التدخل في الترتيب الطبيعي للحيوانات المفترسة وفرائسها يتعارض مع سياسة توم ريجان بعدم التدخل في أنشطة الحيوانات البرية، فالعمل على حماية الأغنام من الذئاب، هو انتهاك لحقوق الذئاب، لأنه يحرمها من حاجتها الغذائية، فالنكبة التي تُصيب الشاه عندما يهاجمها الذئب هي فعل من أفعال الطبيعة، ولا يترتب عليه أي اعتداء في الحقوق. ولكن من يُنكر وجود التزام أخلاقي بالتدخل إذا كان الذئب على وشك مهاجمة طفل صغير أو متنزه ما، يُعد عملاً غير أخلاقي، حيث يجب إنقاذ الطفل أو المتنزه وليس الأغنام من التهديد البرىء Innocent Threat لهجوم الذئب المسعور أو غير المسعور(٤).

(1) Jacquette, Dale. ***The Meaning of Animal Rights,*** op. cit, p. 391.
(2) Ibid: p. 392.
(3) Loc – cit.
(4) Loc – cit.

يرى ريجان أن الحيوانات لها نفس القيمة الباطنة التي للبشر، فالعدالة تتضمن مساواة الأفراد في حيازتهم لهذه القيمة، فالقيمة الباطنة تختلف عن القيمة الأصيلة لتجارب الفرد، فالذين يمتلكون قيمة باطنة يمتلكون شيئًا أكثرًا من كونهم مجرد أوعية لما له من قيمة أصيلة، أي لديهم قيمة متميزة(١). وعليها فالحيوانات في فلسفة ريجان الأخلاقية لها نفس القيمة، لذلك افترض ريجان أن الحيوانات يجب أن تتلقى معاملة محترمة مماثلة، حيث يعترف بأن العنف قد يكون مبررًا لمنع هجوم حيوان مسعور، والذي يصفه بأنه "تهديد برىء"، فهجوم الحيوان المسعور ما هو إلا كارثة طبيعية كالزلزال أو الانهيار الأرضي، ولا تفرض وجهة النظر الحقوقية أي إلتزامات أخلاقية على أي كائنات مسئولة أخلاقيًا للتدخل في عمل مأساوي وشيك يمكن تجنبه(٢).

من خلال ما سبق طرحه، يمكن القول بأن هناك أربع سمات مركزية لتصور القيمة الباطنة في فلسفة توم ريجان الأخلاقية، كالتالي:

أولاً: القيمة الباطنة التي يمتلكها الفرد مستقلة عن كونها موضوعًا لمصالح أي شخص آخر، فلا تعتمد حيازة القيمة الباطنة على ما إذا كان المرء محبوبًا أو محترمًا أو يُقدره المجتمع بأي طريقة أخرى – فعلى حد تعبير ريجان – فإن حياة الوحدة أو الحياة المهجورة غير المرغوب فيها أو وجود بشرٍ غير مرغوب فيهم، لا تقل قيمتهم الباطنة (ولا تزيد) عن أولئك الذي يعيشون في ظروف اجتماعية أكثر حظًا.

ثانيًا: لا تختلف القيمة الباطنة للفرد وفقًا لمدى منفعته تجاه مصالح الآخرين، فبائع السيارات المستعملة عديم الضمير له قيمة باطنة مثل أكثر فاعل للخير.

(1) Campsall, Jeanine. (2011). ***Tom Regan and the Problem of Conflicting Rights,*** A thesis submitted of Master in Philosophy, Faculty of the Graduate School, University of Texas, p. 11.
(2) Jacquette, Dale. ***The Meaning of Animal Rights,*** op. cit, p. 392.

ثالثًا: القيمة الباطنة للفرد ليست شيئًا يمكن أن يكتسبه أو يُنميَّه بفضل اجتهاده، وليس شيئًا يمكن أن يخسره بفعل ما يقومون به ضده أو يفشلون في القيام به، فالإنسان المجرم – بغض النظر – عن جريمته لا يقل قيمة بطبيعته عن القديس.

إن القيمة الباطنة للفرد تختلف من الناحية المفاهيمية، وليست قابلة للاختزال، أي أنها قيمة مرتبطة بالتجارب التي يمتلكها هذا الفرد (يشير ريجان إلى ذلك باعتباره قيمًا جوهرية)، فليس من الممكن تحديد القيمة الباطنة للفرد من خلال تجميع القيم الجوهرية لتجاربه، فالقيمة الباطنة هي ببساطة قيمة غير قابلة للقياس مع القيمة الأصيلة، حيث لا يمكن مقارنة الإثنين معًا، ولا يمكن تقييمهما بنفس المقاييس، فالقيمة الباطنة غاية في ذاتها [١].

يحاول توم ريجان أن يُنهي رؤيته في الحقوق الطبيعية للحيوان في كتابه الموسوم "قضية حقوق الحيوان"، إذ تراه معولاً على فكرة موضوعات الحياة، وفكرة القيمة الباطنة، إذ أنه يرى أنهما فكرتان ضروريتان يتصف بهما الإنسان والحيوان على السواء، والفكرة الأول تؤهل للفكرة الثانية، فالإنسان والحيوان حاملان لرغبتهم في الحياة بشكل متساوٍ تمامًا[٢]. أما فكرة القيمة الباطنة فنراه يُلخصها بقوله "بأنها فكرة كلية، وشمولية، ومتساوية، ولا تنتج عن أفعال إبداعية يقوم بها فرد (مثل الحاكم) أو تقوم بها جماعة (مثل السلطة التشريعية)، كما أنها لا تعتمد على جنس ما، أو ديانة معينة، أو مكان ميلاد، أو مكان إقامة، كما لا تعتمد على نوعية معينة من الأفراد[٣]. فالذين لديهم حياة سعيدة بشكل عام ليس لديهم قيمة باطنة أكثر من أولئك الذين ليس لديهم،

(1) Rowlands, Mark. ***The Animal Rights,*** op. cit**,** p.62.
(2) Regan, Tom. ***The Case for Animal Rights,*** op. cit, p. 248.
(3) Ibid: p. 267.

فالقيمة الباطنة للفرد هي شيء يختلف عن قيم تلك التجارب التي يمر بها الإنسان خلال حياته(١).

من خلال ما سبق تحليله لمحاولة إثبات الحقوق الطبيعية للحيوان، يرى الباحث أن "مارك رولاند" Mark Rowlands لخص هذه المشكلة في سطور، قائلاً عنها "اعتقد أنه من العدل اعتبار قضية حقوق الحيوان في فلسفة توم ريجان تنطلق من إطار مناهج الحقوق الطبيعية في فلسفة الأخلاق، لأسباب ثلاثة، أولاً: يجادل توم ريجان بأن أنواعًا كثيرة من الحيوانات غير البشرية تمتلك حقوقًا أخلاقية بحكم طبيعتها، وبحكم كونهم رعايا على قيد الحياة. ثانيًا: تنادي حجته بشكلٍ مركزي تمامًا بمفهوم القيمة الباطنة التي يُنظر إليها على أنها خاصية أخلاقية موضوعية ترتبط بأشياء معينة، وهي كامنة في الأشياء بغض النظر عما إذا كانت هذه الأشياء قد تم تقييمها أم لا، وعليها قرر ريجان بأن بعض الحيوانات غير البشرية – على الأقل – تمتلك حقوقًا أخلاقية موضوعية، بمعنى أنها لا تعتمد على ما إذا كان يتم الاعتراف بها على أنها حقوق أم لا. ثالثًا: هذه الحقوق سابقة منطقيًا لأي ترتيب تعاقدي، لأنها تنبع من طبيعة الأفراد، وليس من الاتفاقيات التي يبرمها هؤلاء الأفراد، وبهذا المعنى على الأقل، يصبح ريجان وريث للإطار المفاهيمي المتجسد في عقيدة الحقوق الطبيعية"(٢).

وخلاصة القول يرى الباحث أن محاولة إثبات الحقوق الطبيعية للحيوان في فلسفة توم ريجان، هي محاولة للأنسنة في المقام الأول، إذ لا فرق بين الإنسان والحيوان في الحقوق الطبيعية، فالإنسان عاشق للحياة مُتيمٌ بها، وكذلك الحيوان في فلسفة ريجان الذي جعله يشغل فكرة موضوع الحياة، وإذا كان الحيوان موضوعًا للحياة،

(1) Rowlands, Mark. ***The Animal Rights,*** op. cit**,** p.63.
(2) Ibid: p. 58.

فلابد أن تشمله فكرة القيمة الباطنة، وهي قيمة قارة بداخله بغض النظر عن قبولنا له أو رفضنا إياه، وعليها كانت فلسفة ريجان هي محاولة لأنسنة الأعجم.

**رابعًا: مشكلة الوعي لدى الحيوانات.**

هل يمكن القول بأن للحيوانات إحساسًا بالسعادة والألم؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل يمكن القول إن للحيوانات وعيًا مثل الإنسان؟ وإذا كان لديهم الوعي فبأي اللغات يعبرون عنه؟

من خلال القصة الدرامية التي يُعرضها توم ريجان في الأقفاص الفارغة، لا يُقنعك بفكرة الوعي الحيواني أو إحساسهم بالألم، بل يجعلك تتألم مع الحيوان في ألمه، وخوفه، وكأن الحيوان والإنسان سواء، فاعتبارية الإحساس بالألم الناتج عن التعذيب متساوٍ بين الإنسان والحيوان. تدور أحداث القصة الدرامية في أنه شاهد قبل بضع سنوات، أن شبكة Home Box Office بثت برنامجًا بعنوان: "من أجل الحب أو القتل – الإنسان ضد الحيوانات"، حيث يروي البرنامج قصة رائعة، ومزعجة في الوقت ذاته، وهي عن كيفية تعامل الثقافات المختلفة مع الحيوانات نفسها بشكل مختلف، فهناك موقف تقشعر له الأبدان بشكل خاص، حيث دخل المشاهدون لتناول وجبة العشاء في القرية الصغيرة بالمطعم الصيني، ففي بعض المطاعم الأمريكية، يمكن للمستفيدين الاختيار من بين الكركند الحي live lobsters أو الأسماك الحية؟ وكيف بعد اختيارهم، يُقتل الحيوان، ويطبخ الطاهي وجبة من اختيارهم(١).

أما في هذا المطعم الصيني ترى الأشياء هي نفسها إلا أن قائمة الطعام مختلفة في هذا المطعم، يأخذ فيديو الأغنية الدرامية بعض اللقطات التي يختار فيها الزائرون للمطعم من بين القطط والكلاب الحية، ترى في البداية الزائرين الجائعين

(1) Regan, Tom. ***Empty Cages,*** op. cit, p. 1.

يتقدون القطط والكلاب، وهم محشورون بخدهم في أقفاص خشبية، ثم تراهم يتناقشون معًا، ثم تراهم يقومون بالاختيار، ثم يأتي الطاهي الذي يستخدم مُلقطًا معدنيًا طويلاً، ثم ينتزع قطة بيضاء من داخل القفص، ويسرع إلى المطبخ، والقطة تستغيث بمخالبها وصرخاتها، ثم يضربها الطباخ عدة مرات بقضيب حديدي. والآن وهي تصيح وتصرخ أكثر فأكثر، تغوص فجأة في حوض من الماء الساخن لمدة ثلاث ثوان تقريبًا. وهي ما زالت على قيد الحياة، ترى الطباخ يسلخها من رأسها إلى ذيلها، ثم يقوم بإلقائها في وعاء حجري كبير، تراها وهي تبتلع الماء ببطء، وبصعوبة شديدة، وعيناها تلمعان حتى آخر أنفاسها. تستغرق الحلقة بكاملها بداية من الاختيار إلى آخر الأنفاس عدة دقائق، حتى يتم بعدها تقديم الوجبات، فترى زوار المطعم الجائعين يأكلون بكل شهية، ثم يقدمون الشكر والتحية للطاهي(١).

يُعلق ريجان على هذا الفيديو المؤلم، قائلاً:"لم أكن أكثرحُزنًا في حياتي من ذلك الوقت، كنت عاجزًا عن الكلام حرفيًا، حيث أنني مثل العديد من الأمريكيين، أُدركُ أن بعض الناس في كوريا والصين وغيرها من الدول تأكل القطط والكلاب، وأن الفيديو لم يعلمني شيئًا جديدًا عن العادات الغذائية، أما الجديد فهو رؤيتي كيف يتم ذلك الطعام، بل رؤية العملية المؤسفة ذاتها التي يتم من خلالها تجهيز الطعام، حيث إنني شاهدت الصدمة المؤلمة، والمعاناة القاسية، فالقطة كانت مُدمرة نفسيًا، شعرت حينها بضيق داخل الصدر، أردت أن أصرخ فيهم قائلاً: توقف أيها الإنسان – توقف ماذا تفعل! (٢).

هذه القصة الدرامية التي رواها توم ريجان تُعبر تعبيرًا قويًا على امتلاك الحيوان فكرة الإحساس بالألم والمعاناة، فملامح القطة داخل القفص، وخدها الذي تجَّرح بين ثنايات القفص، آلامها، خوفها، ما هو إلا تعبير قوي على فكرة أن الحيوان

(1) Loc – cit.
(2) Ibid: p. 2.

يستطيع أن يشعر بالألم مثل الإنسان، فالحيوان والإنسان سواء في فكرة الإحساس بالمتعة أو الألم، ومن خلال هذه الفكرة يحاول توم ريجان أن يُبرهن على وجود الوعي لدى الحيوان، إذ ينطلق في براهينه من خلال إثباته أن الحيوان يشعر بالألم مثل الإنسان. وكأنه يرى شريط حياته يبدأ أمامه من جديد، عندما كان طالبًا في المرحلة الثانوية والجامعية، حيث كان يُطلب منه تشريح الحيوانات في محاضرات علم الأحياء، فكما يقول "لم يخطر في بالي أن أثير اعتراضًا أخلاقيًا، انطلاقًا من صمت زملائي"(١).

إن فكرة الإحساس بألم الحيوان تقودنا بالضرورة إلى فهم فكرة الوعي الحيواني، فلمعرفة المقصود بفكرة الوعي لدى الحيوان، فلننظر إلى حياة ليونارد دافنشي، سنرى أنه منذ سنين عمره المبكرة جدًا، لم يؤذ الحيوانات على الإطلاق، بل سعى لحمايتها، كما لم يضطر أحد لإقناعه بأن يكون دافنشي على هذه الهيئة التي كان عليها، ولم يكن بحاجة إلى دليل منطقي قبل أن يتبين طريقته الحنونة في العالم، إنها الهيئة التي كان عليها من حيث طبيعته الفردية، والتي ترى أن هناك شيئًا ما في الجينات إن جاز التعبير. وهذا دليل كافٍ على أن فكرة الإحساس بالحيوان وإدراك قيمة الوعي لديه نابعة من الجينات الأولى التي وُلد الإنسان مزودًا بها(٢).

إذا كان توم ريجان وليونارد دافنشي على اتفاق تام في ضرورة الاهتمام بالحيوان والشعور بألمه، نجد ديفيد ديجراتسيا يتفق معهم أيضًا، في قوله "إن فكرة ركل الكلاب أو ضربها تُعد خطأً – على أي وجه – من الوجوه، نظرًا لأن ذلك عمل يتسم بالقسوة، لأن ارتكاب رذيلة كتلك يجعل المرء على المدى الطويل أكثر ميلاً لإساءة المعاملة مع البشر أنفسهم"(٣). فالكلاب تستحق اعتبارًا متساويًا مع البشر، لأن مصلحة

(1) Regan, Tom. ***Animal Rights, Human Wrongs,*** op. cit, p.3.
(2) Raha, Rosamund. ***Tom Regan Philosopher and Animal Rights Pioneer 1938 – 2017,*** op. cit.
(٣) ديفيد ديجراتسيا: **حقوق الحيوان – مقدمة قصيرة جدًا**، مرجع سابق، ص ٢٥.

الكلب في تفادي المعاناة تساوي في الأهمية مصلحة الإنسان، حيث تؤخذ معاناة الحيوان في الاعتبار قدر ما تؤخذ معاناة الإنسان في الاعتبار(١). وهذا ما يجعلهم جميعًا على اتفاق تام مع الفيلسوف الأسترالي بيتر سينجر في ضرورة مساواة الإنسان بالحيوان في رفع المعاناة عنه، إذ يقول الأخير "لقد وافقت ريجان في مبدأ القضاء على جميع الأعمال الوحشية التى تمارس الآن على الحيوانات سواءً كانت فى المعامل، أو المصانع، أو حتى فى المزارع البرية، فلابد لكل إنسان أن يتحدث عن حقوق الحيوان مثلما يتحدث عن حقوق الإنسان"(٢). أو بعبارة أخرى في قوله "إذا كانت فكرةُ المساواةِ أساسًا أخلاقيًا واضحًا يضمن سلامة العلاقات مع الآخرين من جنسنا البشري، فإننا ملتزمون هنا أيضًا – لقبولها كأساس خلقيٍ واضحٍ – للعلاقات مع من هم خارج جنسنا من الحيوانات غير البشرية"(٣). وعليها لاحظت الفيلسوفة الإنجليزية "ماري ميدجلى" Mary Midgley (١٩١٩ – ٢٠١٨م) هذه الرؤى السابقة، قائلةً "نحن لسنا متشابهين فقط مع الحيوانات، إنما نحن حقًا حيوانات"(٤).

من خلال فكرة الإحساس لدى الحيوان، يحاول توم ريجان إثبات الوعي لدى الحيوان، باعتبار إن الإحساس جزء من الوعي، حيث يرى إن إسناد الإدراك الواعي للحيوانات هو جزء كبير من النظر المنطقية للعالم، لدرجة تجعل التشكيك في وعي الحيوان هو التشكيك في صحة النظرة السليمة ذاتها، ولكن على الرغم من أن الاعتقاد في الوعي الحيواني يتوافق مع الحس المشترك، وعلى الرغم من كون فكرة إسناد الوعي للحيوانات يتوافق مع اللغة العادية التي نستخدمها في الحياة اليومية، مثل قولنا "إن

(١) المرجع السابق: ص ٢٦.

(2) Singer, Peter. (1987). ***Animal Liberation or Animal Rights?*** The Monist, Vol. 70, No. 1, Animal Rights, p.3.

(3) Singer, Peter. ***Practical Ethics,*** op. cit, p.124.

(4) Regan, Tom. ***The Case for Animal Rights,*** op. cit, p. 2.

فيدو يريد الخروج"، فهذه الفكرة مثلاً ليست مساوية إذا قُلنا "الجذر التربيعي للرقم ٩ غاضب" أو قولنا "إن نصب واشنطن التذكاري عطشان"(١).

إن الطرح السابق الذى قدمه توم ريجان بالمقاربة بين"الكلب فيدو" و"فكرة النصب التذكاري أو الجذر التربيعي" يتفق تمامًا مع الموقف الذى تبناه "جون بول سكوت" John Paul Scott (١٩٢٧– ١٩٨٧) فى مقاربته بين قطعة "البلياردو" و"الكلب"، حيث يقول سكوت "إن الحيوان لا يستجيب للمؤثرات المختلفة حسب القواعد الميكانيكية الطبيعية البسيطة، ففكرة "البلياردو" عندما تتلقى ضربة مستقيمة من العصا تتحرك فى نفس اتجاه القوة المؤثرة فيها، ولكنك إذا وكزت كلبًا بهذه العصا، فإنه قد يأتى بعدة أفعال منها، أنه قد يلتفت وراءه ويعض العصا، أو قد يجرى حولك ويعض ساقك. كما أن الكلب قد يأخذ فى العواء بصوت مرتفع ويجرى لمسافة أطول من تلك التى دفعته إليها عصا "البلياردو". وفى جميع هذه الحالات فإن الكلب لا يتصرف مطلقًا مثلما حدث مع كرة "البلياردو" التى كانت حركتها محصلة كل القوى التى أثرت فيها. وتفسير ذلك أن الكائن الحي لا يتحرك تحت تأثير هذه القوى وحسب، إنما يحاول أن يُكيف نفسه للتغير الحادث"(٢).

من خلال تلك الرؤى التي تُبرهن على وجود الوعي لدى الحيوانات، مؤكدة ذلك من خلال الأمثلة – كما رأينا – نجد أن توم ريجان يجادل بأن الثدييات الطبيعية غير البشرية، والتي يبلغ عمرها عامًا واحدًا على الأقل تمتلك وعيًا معقدًا، وهذا يعني أنها قادرة على الإيمان، والرغبة، والتوقع، والقصدية. والحيوانات في مثل هذه الفئة لها اهتمامات interests بسبب تعقيدها النفسي، لأنها يمكن أن تستفيد أو تتضرر من

(1) Loc – cit.

(٢) جون بول سكوت: ***سلوك الحيوان***، ترجمة: عبد الحميد خليل، وعبد الحافظ حلمي، مراجعة: محمود محمد رمضان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٠م، ص١٩.

تصرفات الكائنات المسئولة أخلاقيًا[١]. وعلى هذه الفكرة عارض توم ريجان التقليد الفلسفي الذي نشأ في القرن السابع عشر مع ديكارت، وجوليان دي لامتري، الذين أكدوا أن الحيوانات هي عبارة عن آلات، فالحيوان كالآلة، وأن الحيوانات غير قادرة على الوعي تمامًا. وهذا القول رفضه ريجان بشدة، حيث أعاد الفكرة المنطقية التي تؤكد بأن العديد من الحيوانات لديها وعي واعٍ معقد، من خلال إظهار أنه لا توجد فرضية أكثر منطقية تفسر لنا بشكل مناسب الزخيرة السلوكية المعقدة في علم السلوك الحيواني[٢].

إذا كان توم ريجان يتفق اتفاقًا تامًا مع، ليونارد دافنشي، جون بول سكوت، وبيتر سينجر، وماري ميدجلى فى رفع الظلم، والمعاناة عن الحيوان، فإننا نراه هنا يتفق أيضًا مع – الفيلسوفة الأمريكية – مرثا نسباوم Martha C. Nussbaum (١٩٤٧ – ...) التى رأت في الحيوان أنموذجًا للبراءة الجميلة، حيث تقول:"أعتقد أنني يمكن أن أعيش مع الحيوانات، لكونها هادئة جدًا، ولديها احتواء للذات، فهم لا يبغضون حالتهم أو يرفضونها، فتراهم لا يكذبون فى الظلام، بل تراهم يبكون، ويتألمون من أجل خطيئاتهم. كما لا تجد فيهم من يركع للآخر"[٣]. وعلى هذه الكيفية نجد أن توم ريجان يتفق مع نسباوم الأمريكية فى كون الحيوان كيانًا أصيلاً، له اهتماماته، ومشاعره، وبالتالي لديه وعيٌ تام، لذا فهو يفرح ويتألم، وهذا ما صرحت به نسباوم أيضًا فى قولها:"الحيوانات لديها مشاعر"[٤].

(1) Jacquette, Dale. ***The Meaning of Animal Rights,*** op. cit, p. 389.
(2) Loc – cit.
(3) Nussbaum, Martha. C. (2013). ***Political Emotions – Why Love Matters for Justice***, The Belknap Press of Harvard University Press, U.S.A, p.137.
(4) Nussbaum, Martha. C. (2001). ***Upheavals of Thought – The Intelligence of Emotions,*** Cambridge University Press, U. S. A, p.90.

إذا كانت الرؤية الديكارتية في القرن السابع عشر تُنكر وجود الوعي لدي الحيوان، باعتبار كونه آله – وهذا ما رفضه ريجان بشدة – نجد صدى هذه الفكرة لدى إيمانويل كانط الذي رأى أن العقلانية هي سمة رئيسة من سمات الفعل الخلقي الإنساني، وأن الحيوانات غير البشرية تفتقر إلى هذه العقلانية، بل حاول رفع درجة الإنسان إلى أعلى مراحله، حيث يرى أن الضرر الناتج عن سوء معاملة الحيوانات الأعجمية هو ضرر للجنس البشري، وليس للحيوانات الأعجمية فقط، فالقسوة على الحيوانات لا تُشكل ضررًا أخلاقيًا لهم، بل تعمل على تلوث الشخصية الأخلاقية للإنسان والمجتمع، إذ من الممكن أن يقسو الإنسان على أخيه الإنسان(١). وهذه الرؤية الكانطية رفضها توم ريجان بشدة، لأنه يرى أن فلسفة كانط الأخلاقية تُفضل البشر بشكل تعسفي على جميع الأنواع الأخرى.

يحاول توم ريجان أن يستطرد دفاعه عن وجود الوعي لدى الحيوان ضد كل من: ديكارت وكانط، فيقول: "بالنظر إلى الافتراض القائل بأننا نحن البشر من يملكون الوعي، فهذا الافتراض يعتمد على فكرة الأرواح الخالدة أو المخلوقات التي لديها القدرة على اجتياز اللغة، حيث إن الإجابة الديكارتية التي ترى أن البشر فقط من يملكون الوعي بين المخلوقات الأرضية، قد يكون من الممكن الدفاع عنها، ولكن ثبت أن هذه الفرضية في التعامل مع مسألة وعي المخلوق غير كافية، حيث قدمت النظرية التطورية مقاربة مختلفة بشكل كبير لمسألة الوعي الحيواني عن تلك التي قدمها ديكارت. فإذا افترضنا – كما يفترض – ديكارت أن البشر فقط يملكون الوعي، فسيكون من الرائع حقًا بالنظر إلى الاتجاه الرئيس لهذه النظرية، والتي مؤداها أن الإنسان العاقل هو النوع الوحيد الذي يمتلك في أعضاؤه هذه السمة، نجد أن داروين – على سبيل

(1) Petersen, H. Jean. ***The Relevance of the Animal Liberation Movement to Environmental Ethics,*** op. cit, p. 31.

المثال – يؤكد على إنكار المكانة المميزة للبشر في هذا الصدد، حيث يقول: "لا يوجد فرق جوهري بين الإنسان والثدييات العليا في قدراتهم العقلية"، ومرة أخرى يقول: الاختلاف في العقل بين الإنسان والحيوانات العليا، على الرغم من كونه عظيم، إلا أنه بالتأكيد اختلاف في الدرجة ليس في النوع"(١).

من خلال النص السابق، يرى الباحث أن توم ريجان يتبنى النظرية التطورية الداروينية، حيث يرى ريجان أن التشابه بين الحياة العقلية للإنسان والحيوان يعتمد على عدد من الاعتبارات، يتعلق أحدهما بالتعقيد المرئي، والتشابه بين علم وظائف الأعضاء، والإنسان والحيوان. ويتعلق الاعتبار الآخر بالاعتقاد الرئيس الذي ينص على أن أشكال الحياة الأكثر تعقيدًا قد تطورت من أشكال أكثر بساطة، وهو اعتقاد يشير إلى أن كل من البشر وبعض الحيوانات قد تطوروا من أشكال حياة بسيطة، وإن لم يكن بالضرورة نفس أشكال الحياة في كل حالة(٢).

وهكذا، يرى توم ريجان أنه بالنظر على النظرية التطورية، وإثبات قيمة بقاء الوعي الي توفرها الحالة البشرية، يكون لدينا كل الأسباب لنفترض أن أعضاء الأنواع الأخرى واعون أيضًا. وبالنظر إلى قيمة بقاء الوعي يجب على المرء أن يوقع أنه سيكون موجودًا في العديد من الأنواع الأخرى، وليس موجودًا في الأنواع البشرية فقط، وعليها يمكن أن يكون للإدراك الواعي قيمة تكيفية كبيرة، فكلما فهم الحيوان بيئته الجسدية والبيولوجية والاجتماعية بشكلٍ أفضل، كان من الأفضل تعديل سلوكه لتحقيق أفضل أهداف قد تكون مهمة في حياته، بما في ذلك تلك الأهداف التي تسهم في لياقته التطورية(٣).

(1) Regan, Tom. ***The Case for Animal Rights,*** op. cit, p. 18.
(2) Ibid: p. 19.
(3) Ibid: p. 20.

من خلال إثبات توم ريجان لفكرة الوعي لدى الحيوان، يجادل بأن يُثبت فكرة الهوية لدى الحيوان، كما سيحاول في النهاية أن يُثبت فكرة اللغة عند الحيوان، حيث يقول: "إذا كانت المقولة – إن الكلب فيدو لا يتغير – وهذا ما يجعله نفس كلب اليوم، كما كان بالأمس، وبالتأكيد سيكون غدًا. هذا السؤال المقلق لا يختلف نوعًا عن الأسئلة الأخرى حول الهوية، سواءً كانت هذه الأسئلة تتعلق بهوية الكرسي – على سبيل المثال – أو الشجرة أو الإنسان. في هذه الحالة يجب أن نفترض أن الأفراد بما في ذلك الحيوانات غير البشرية مثل فيدو، وكذلك البشر، يحتفظون بهويتهم مع مرور الوقت. وبما أن الافتراض القائل بصحة هذه المقولة في حالة البشر أمر شائع في جميع النظريات الأخلاقية، ولا يطرح أي سؤال أخلاقي جوهري، وبالمثل إذا افترضنا أن الشيء نفسه صحيح في حالة حيوانات مثل فيدو، فلا يوجد سؤال أخلاقي يمكن طرحه"[١].

يرى ريجان أننا لا نفترض طرقًا معينة لمعاملة الحيوانات بأنها خاطئة، أو أن بعض الحيوانات لها فقط حقوق أخلاقية، بافتراض أن هذه الحيوانات تحتفظ بهويتها مع مرور الوقت. ومع ذلك بما إن الحيوانات – مثل فيدو – كائنات ذات حياة عقلية متطورة، حياة عقلية تختلف عن حياتنا – على حد تعبير داروين – في الدرجة وليس في النوع، لهذا يجب إلقاء الضوء على الهوية النفسية لهذه المخلوقات، وليس فقط الهوية المادية[٢]. وبهذه الخطوة يُمهد توم ريجان للبحث في علم سلوك الحيوان، أو ما يسمى علم نفس الحيوان، لأنه يحاول البحث في الحالة النفسية للأعجم، وبالتالي لا يختلف الحيوان عن الإنسان، وهذا ما يؤكد أن فكرة حقوق الحيوان في فلسفة ريجان ما هي إلا مقاربة نحو أنسنة الأعجم.

(1) Ibid: p. 83.
(2) Loc – cit.

إن إثبات الوعي الحيواني يقودنا بالضرورة إلى إثبات الرغبة، وهذه الأخيرة فكرة رئيسة في فلسفة الأخلاق المعاصرة، ومن خلال الأفكار التي أسندها توم ريجان للحيوان الأعجم، يجعلك ترى أن الحيوان هو الإنسان، والإنسان هو الحيوان، وفقًا لقانون الهوية، الذي يرى أن الشيء هو ذاته، وإذا كان الإنسان والحيوان سواء، فإن الحيوان في هذه الحالة هو الإنسان بطبيعته ورغباته، بل هي أنسنة من نوع خاص.

يؤكد توم ريجان أن السيارات والأزهار تحتاج إلى الماء دون الإيحاء برغبتهم في ذلك، أما في حالة الحيوانات فإننا نرى أنها تمتلك رغبات، فلا يوجد سبب في إنكار أن الحيوانات تُشبهنا في امتلاك مصالح عرضية ونمطية تتناسب مع احتياجاتها الأساسية مثل الأزهار. كما أن الحيوانات تُشبهنا أيضًا، لإمتلاكها حاجات بيولوجية أساسية للماء والغذاء، وبإختصار شديد، للحيوانات رغبات مُثلنا(١). إنهم يهتمون بالطعام والماء، كما نهتم تمامًا بالطعام والماء. فلا يكفي للحيوان أن يحصل على كل الماء الذي يريده دون طعام، أو كل الطعام دون الماء، ولا يكفي أيضًا أن يُشبع الحيوان كل رغباته في مناسبات نادرة، فهو لابد أن يحيا بشكل جيد بالنسبة لقدرات الإنسان(٢). فإذا كان الإنسان استطاع اشباع رغباته المتعددة بطريقة متناغمة ومتكاملة بانتظام، وبشكل عام، وإذا كان واجبًا على الإنسان أن يحتفظ بالهوية النفسية والجسدية طوال الوقت، فإن رفاهية الحيوان تكون في هذه الحالة مثل الإنسان تمامًا في مضمونها العام(٣).

وعلى هذه الجدلية اتفقت مارثا نسباوم مع توم ريجان فى الإقرار بأن للحيوانات ذكاءً معرفيًا، من خلال إثباتهم فكرة الوعي الحيواني، وما لديه من رغبات ومشاعر، بل زاد ريجان عليها بفكرة الهوية السيكولوجية للحيوان، وزادت عليه نسباوم بمحاولة إثبات

(1) Ibid: p. 89.
(2) Ibid: p. 90.
(3) Loc - cit.

العدالة، ففكرة العدالة ليست قاصرة على الإنسان فقط، بل يندرج تحتها الإنسان والحيوان معًا، كما جعلت نسباوم الحيوان بمثابة المرشد أو المعلم للإنسان، فهي تبرهن على ذلك بقولها :" أنه من خلال دراسة المشاعر والسلوك العاطفي للحيوانات الاجتماعية المعقدة مثل القردة والفيلة، نجد أن هذه الحيوانات تُرشدنا برموز من أنفسنا، وعلينا قبولها. ولكن الإنسان غالبًا ما يُنكر هذه القرابة التى تجمع بينه وبين الحيوان، بل يُنكر أنه يتعلم الكثير من الحيوان، لأنه يرى نفسه دائمًا أنه فى مستوى يفوق مستوى الوحوش"(١). وهنا نرى بيتر سنجر يتفق معهم، في محاولة منه للمساواة وليس للأنسنة، قائلاً:"إنني مؤمن بأن للحيوانات غير البشرية الحق في الحياة معنا، وعلى قدر متساوٍ تمامًا مع حياتُنا"(٢).

يَنهي توم ريجان مشكلة الوعي لدى الحيوان بتساؤل من نوع خاص، وهذا التساؤل تكمن فيه فكرة الأنسنة، لإن إثبات اللغة عند الحيوان، ما هو إلا دليل على وجود العقل، أو باعتباره كائنًا حيًا يستطيع أن يُعبر عن دوافعه ووجداناته، والتساؤل كالتالي:

هل يمكن للحيوانات استخدام اللغة؟

إذا كان اعتبار اللغة عند الحيوانات دليلاً على عدم توفر حياة عقلية لديهم، فهذا غير صحيح. لأنه إذا كان الأمر كذلك فلن يستطيع الطفل الرضيع (يندرج ضمن الكائنات غير المسئولة أخلاقيًا مثل الحيوانات، وكبار السن المصابون بأمراض الزهايمر) الشعور بالألم، أو المتعة أو الخوف قبل اكتسابه اللغة(٣). لذلك يرى توم

(1) Nussbaum. Martha C. ***Political Emotions – Why Love Matters for Justce***, op.cit, p.138.

(2) Singer, Peter. (Jan., 1978). The Fable of the Fox and the Unliberated Animals, Ethics, Vol. 88, No. 2, p.120.

(٣) ديفيد ديجراتسيا: **حقوق الحيوان – مقدمة قصيرة جدًا**، مرجع سابق، ص ٥٨.

ريجان – قياسًا على هذه الفرضية – بأن للحيوانات لغةً مثل لغة الإشارة الأمريكية ( A S L) للصم، فالغوريلا والشمبانزي تستخدم هذه اللغة، والدليل على ذلك ما تنص عليه الرواية التالية، وهي عبارة عن مقابلة أُجريت في (A S L) بين مراسل صحيفة نيو يورك تايمز الذي يُدعى "بويس رينسبرجر" B. Rensberger والشمبانزى لوسي التي تبلغ من العمر ثماني سنوات، وقد تلقت تعليمات بلغة الإشارة الأمريكية، والمقابلة كانت كالتالي:

- المراسل (ممسكًا ي يده مفتاح): ما هذا يا لوسي؟
- لوسي: مفتاح.
- المراسل (ممسكًا في يده فرشاة شعر): ما هذا يا لوسي؟
- لوسي: فرشاة شعر، تأخذ الفرشاة وتهذب شعر المراسل، ثم تُمشط يديها.
- المراسل: مشط لي من فضلك؟
- لوسي: حسنًا.
- المراسل: لوسي هل تريدين الخروج؟
- لوسي: لا أريد الخروج، بل أريد الطعام، تفاحة؟
- المراسل: ليس لديَّ طعامٌ يا لوسي، آسف جدًا[١].

وبعد هذه المقابلة – على حد تعبير توم ريجان – كتب المراسل ريسنبرجر موجزًا ليس عميقًا بشكل خاص، ولكنه مهمٌ جدًا، حيث يقول: كنت أنا ولوسي نُحدق في عيون بعضنا البعض لبضع ثوان، لا أعرف بماذا شعرت؟ ولكنني كنت متوترًا لأنني كنت أشارك في شيء غير عادي، حيث كنت أتحدث بلغتي الخاصة مع عضو آخر من الكائنات الذكية[٢].

(1) Regan, Tom. ***The Case for Animal Rights,*** op. cit, p. 12.
(2) Loc - cit.

من خلال تحليل مشكلة الوعي الحيواني في فلسفة توم ريجان، يرى الباحث أن هذه المحاولة التي تبناها توم ريجان في فلسفته الأخلاقية، ما هي إلا محاولة لأنسنة الحيوان، وهي محاولة جديدة وفريدة في الفكر الفلسفي، فإذا كان الأدب العربي القديم أثبت في مقاربة منه لأنسنة الحيوان لدى الشعراء، وكأن الحيوان إنسانٌ يشكو إليه الشاعر همومه، وأحزانه، لذا كانت هذه المقاربة التي تبناها ريجان فريدة في نوعها، فلم يسبقه أحد من فلاسفة العصر الحديث في القول بأنسنة الحيوان.

**خامسًا: نقد الفكرة وتناقض الفيلسوف.**

إن الوقوف على كُنهِ إشكالية أنسنة الحيوان (النظرية والتطبيق) في فلسفة توم ريجان، لا يعني بالضرورة أن أفكاره صائبة، ولا تخضع لمبادىء النقد الفلسفي والديني، كما لا يعني مجادلة توم ريجان في ندائه بحقوق الحيوان، لدرجةٍ جعلت قضيته تخرج من حيز الحقوق إلى منحى آخر تمامًا وهو أنسنة الحيوان (وإن كان ريجان لم يصك هذا المصطلح، ولم يظهر في كتاباته، إنما استخلصه الباحث من تحليل كتاباته، وأفكاره) أن فكرته لا تخلو من التناقض مع ذاتها، إذا أنه تخبط بعض الأمر في رؤيته نحو الدفاع عن حقوق الحيوان، وسيظهر ذلك بالتفصيل فيما يلي:

إن تبنيَّ توم ريجان الدفاع عن حقوق الحيوان جعله يتجاهل مبدأً مهمًا من مبادئ احترام الطبيعة، ألا وهو عدم الإضرار بالطبيعة، فكان دفاعه من باب أنسنة الحيوان أو الكيفية التي ينبغي علينا اتباعها لإثبات حقوقه. وعدم الإضرار بالطبيعة يُعني عدم الاستغلال المفرط وغير الراشد لمكوناتها، وذلك لعدة أسباب: السبب الأول يتعلق بمبدأ العدالة بين الأجيال، فمن حق الأجيال المستقبلة أن ترث الأرض كما ورثها الجيل الحالي، بالتنوع ذاته للموارد الطبيعية، وبالنقاء الذي ورثنا عليه الجو. السبب الثاني: إن الإفراط في الاستغلال غير الضروري من شأنه أن يؤدي إلى إنقراض بعض

الكائنات، ويؤثر على التنوع الحيوي وهو ما لا يمكن توقع الضرر منه[١]. وهذا المبدأ تغافل عنه توم ريجان في كتاباته، وفي قضيته عن إثبات الأنسنة للحيوان.

إن تبني النزعة النباتية التي انحدر إليها توم ريجان بوصفه مدافعًا عن حق الحيوان، لا تعني مطلقًا أنه ولد في بيئة نباتية تخلت تمامًا عن أكل اللحوم، ولبس الفراء المصنوع من جلودها، والدليل في ذلك أنه في مُقتبل عمره عندما كان يدرس علم الأحياء كان يرى تشريح الحيوانات أمام عينيه، ولم يتحرك له ساكن، ثم بعد ذلك تراه ينادي بوقف التجريب على الحيوان على الإطلاق. بل في أقفاصه الفارغة قالها صريحة "إن فكرة التخلي عن أكل اللحوم أمرٌ صعب، بل يبدو مستحيلاً عند البعض"[٢]. فإذا كان ريجان يعترف في قرارة نفسه بأنه أمر مستحيل، فكيف ينادي بالمستحيل وهو يعلمه أنه مستحيلٌ.

يُعد التمثيل بالحالات الجزئية التي وردت في كتابات توم ريجان، بأنها تخلت تمامًا عن أكل اللحوم، لا تُعد هذه الحالات معيارًا ثابتًا لكي نحكم به على جميع البشر، فكيف ننتقل مع توم ريجان من حالات جزئية إلى قانون كلي يطبق على البشر جميعًا، مع العلم أن الحالات الجزئية في بداية حياتها كانت تأكل لحوم الحيوانات، فكما قال عن حياة "ريبيكا حرب" Rebekah Harp معلمة التربية الخاصة في فلوريدا، والتي كانت ترى نفسها شخصًا عطوفًا تجاه الحيوانات، إلا أنها كانت تأكل اللحوم طوال حياتها، حتى رأت مشهدًا مزعجًا أمام ناظريها، وهو رؤيته لأرقاب البقر تتطاير أمامها، وأصوات السكاكين تعلو، والدم يجري كجدول من نهر متدفق، هذا المشهد جعل معلمة التربية – كما يقول ريجان – تشعر بالغثيان، لأنه ارتبط في ذهن المعلمة بصورة

(١) بهاء درويش: **أخلاقيات العلم والتكنولوجيا وتطبيقاتها**، مرجع سابق، ص ٥٢.

(2) Regan, Tom. ***Empty Cages,*** op. cit, p. 82.

الأبقار المزعورة التي تنتظر ذبحها، مما جعلها تتخلى تمامًا عن أكل اللحوم[١]. وهذا أنموذج جزئي فكيف يجوز تطبيقه على الكل في فلسفة توم ريجان البيئية.

هل كان توم ريجان متخصصًا في علم نفس الحيوان أو على دراية تامة بعلم السلوك الحيواني حتى يُبرهن في أمثلته بالحفاظ على الحالة النفسية للحيوان؟ نحن نعلم جميعًا بأنه واجب علينا – نحن البشر – بضرورة الرفق بالحيوان، لأنه كائن حي، يشعر بالألم، ويشعر أيضًا بالسعادة، ولكن الرفق به لا يعني التخلي عن استخداماته تمامًا، لأن الإنسان في درجة أعلى من الحيوان، وليس في تساوٍ. فكيف توصل توم ريجان إلى نتيجته القائلة بـ"أن الغالبية العظمى من هذه الحيوانات، بل المليارات منها، تعاني جسديًا في كل دقيقة وهي على قيد الحياة، أنهم مرضى – أي الحيوانات – بأمراض مزمنة وموهنة، ومن الناحية النفسية مرضى مثقلون بالتأثيرات التراكمية للارتباك والاكتئاب، إنهم يعبشون في ظلال مأساوية ومثيرة للشفقة بالنظر إلى أسلافهم الأكثر منهم قوة"[٢]. فهذه نتيجة فلسفية وليست مُنطلق حقوقي نحو إثبات حق الحيوان! وبما أنها تندرج ضمن علم نفس الحيوان، فكيف توصل إليها توم ريجان، وهو لا يعرف عن طبيعتها السيكولوجية شيئًا.

بالنظر إلى الأديان السماوية جميعها وما جاءت به من دعوة صريحة نحو الرفق بالحيوان، وليست دعوة من أجل المساواة بين الإنسان والحيوان، يرى الباحث تهافت فكرة أنسنة الحيوان التي يمكن استخلاصها من كتابات توم ريجان عن حقوق الحيوان، فحق الحيوان لا يعني مساواته بالصفات نفسها التي للبشر، فالأديان أقرت بأن الإنسان أعلى منزلة من الحيوان، وأقرت أيضًا بضرورة الرفق به، وليس بضرورة الامتناع عن أكله، ولبس فراءه، واستخدامه كدابة في السفر والعمل.

(1) Ibid: p. 83.
(2) Loc – cit.

إن فكرة القيمة الباطنة التي يخلعها توم ريجان على الحيوان لا تعني بالضرورة المساواة التامة لكونه يمتلكها، فامتلاك الحيوان لهذه القيمة لا يتضمن المساواة مع الإنسان، وإذا امتلك الحيوان هذه القيمة الباطنة – كما يقول – ريجان، فكيف يُفسرها، وكيف يشعر بها، وهي كما قال ريجان قيمة في حد ذاتها، فإذا كانت باطنة وفي حد ذاتها، فما هي الوسيلة التي تجعل الحيوان يشعر بها؟ فكان من الأحرى أن يستخدم توم ريجان فكرة القيمة الأصيلة للتعبير عن الحيوان، لأنها قيمة مكتسبة، يُضفيها الإنسان على الحيوان، فالإنسان فقط الذي يشعر بقيمة الأعجم الأصيلة، وليست قيمة باطنة تمامًا كما هي عند الإنسان، فهذا تخبط كبير في فلسفة ريجان.

أما من ناحية إقرار الوعي لدى الحيوان، فالقول بهذه الفكرة يتطلب القول بالعقلانية وما يترتب عليها، من إثبات الحرية للحيوان، والقصدية، التي تتوافر في الفعل الخلقي الإنساني. إن كون الحيوان يفرح ويتألم لا يعني بالضرورة بأنه يمتلك الوعي التام الذي خص الله به الإنسان، فكيف تجاهل توم ريجان بأن وعي الحيوان هو فكرة طبيعية، فُطر بها الحيوان نحو الشعور بالألم أو السعادة، والأفكار التي هي وليدة الطبيعة ذاتها، لا تعني بالعقل الكلي لدى الأعجم، فالحيوان والطبيعة سواء، وليس الحيوان والإنسان سواء. فكما نسمع في المجازات الأدبية بـ"السماء الضاحكة" أو "غناء الزهرة" فهذه أمور طبيعية ومجازية أيضًا تساوى قولنا "وفاء الكلب"، "مكر الثعلب"، "غرور الطاووس". وعليها لا يمكن وصف سلوك الحيوان بأنه أخلاقي أو غير أخلاقي، لأن أفعاله محايدة مثل أفعال الطبيعة.

أما عن تناقض أفكار توم ريجان، فيمكن القول بأن أفكاره انحدرت نحو مأزق لم يستطع الفكاك منه، وكأنه مصيدة وقع فيها ريجان بنفسه، وبأفكاره، وهذا ما جعل نظريته تتحطم تمامًا من خلال تخبطه الفكري. حيث أن فكرة "قارب النجاة" lifeboat التي يراها حلاً للمشكلة، هي ما جعلت فكرة أنسنة الحيوان تتحطم تمامًا في فلسفته،

مما جعلته متناقضًا أيضًا في أفكاره، بمعنى أنه يقول بفكرة الأنسنة ونقيضها معًا. وهذه الفكرة تنص على إن إلقاء أي عدد من الكلاب من قارب نجاة من أجل إنقاذ حياة إنسان من نفس المصير، فإن توم ريجان يبرر هذه الفكرة من خلال مبدأ أسوأ الحالات worse–off principles، فوفقًا لهذا المبدأ يجب إنقاذ الإنسان لأنه رميه في البحر سيكون أسوأ حالاً مما يمكن أن يكون عليه الكلاب(١). علمًا بأن هذا المبدأ يبرر إيذاء بعض الكائنات الحية البريئة من أجل إنقاذ بعض الأفراد الآخرين

إن فكرة قارب النجاة يفترضها توم ريجان افتراضًا في كتابه "قضية حقوق الحيوان" وهذا الافتراض كالتالي: "فلنفترض أن هناك قاربًا يسير في البحر، وعلى متنه خمسة أو أربعة أشخاص بالغين من البشر، ومعهم كلب ما، ومساحة القارب تتسع فقط لأربعة أشخاص، ويجب أن يرحل شخص ما أو يهلك الجميع غرقًا في البحر. في هذا الموقف لابد أن يكون هناك اختيارًا، هذا الاختيار ليس بين كلب واحد وأربعة من البشر – فعلى حد تعبير توم ريجان – حتى وإن كان عدد الكلاب تعدى المليون على القارب، حيث إن الأرقام العددية هنا لا تُحدث فرقًا كبيرًا، فيجب في هذه الحالة إلقاء المليون كلب في البحر، إن كان ذلك ضروريًا لإنقاذ البشر العاديين الأربعة"(٢).

إن هذه الفكرة جعلت نظرية توم ريجان وتطبيقاتها تتناقض ذاتيًا، حيث إنه يقول بالفكرة والنقيض، يقول بالأنسنة، والحق في الحياة، والقيمة الباطنة، والوعي، ثم يقول بنقيض الفكرة باللإنسانية للحيوان، وعدم الحق في الحياة، واللاقيمة، واللاوعي. فكيف يفسر موت نفس – الكلب – مثلاً، بل المليون من الكلاب بمبدأ أن الإنسان سيكون أسوأ حالاً من الكلاب، أو أن الإنسان يُصبح أسوأ حالاً من حيث الفرصة

(1) Kary, Daniel. (2019***). Regan's Lifeboat Case and the Additive Assumption***, Journal of Agricultural and Environmental Ethics**,** p. 127.
(2) Regan, Tom. ***The Case for Animal Rights,*** op. cit, p. 351.

الضائعة، وعليها يجب إنقاذ الإنسان لأن القيمة القيمة الأصيلة لتجاربه المحتملة تكون أكبر من القيمة الأصيلة للتجارب المحتملة لأي من الكلاب(١).

إن مبدأ أسوأ الحالات هو غير حساس تمامًا للأرقام، مما يؤدي إلى نتيجة مفادها أننا يجب أن نمنع المعاناة الشديدة لفرد واحد بدلاً من المعاناة الأقل شدة (ولكنها لا تزال خطيرة) لمليون فرد. بمجرد أن تصبح الأضرار غير متكافئة، مهما كانت قليلة، فلن يكون هناك انخفاض في أعداد أولئك الذين يعانون من الضرر الأكبر ولا زيادة في أعداد أولئك الذين يعانون من ضرر أقل يمكن أن يبرر إلحاق الضرر الأكبر أو السماح به(٢). فهل يتساوى ضرر مليون كلب بفرد واحد؟ هل هذا يجوز أخلاقيًا؟ وإن كان هذا الأمر جائزًا أخلاقيًا، فكيف برهن ريجان في كل كتاباته على ضرورة مساواة الحيوان بالإنسان؟ أين حق الحياة، إذا كان الحيوان كما قال ريجان يمثل موضوعًا للحياة؟

إن هذا التناقض يبرهن على عدم إتقان توم ريجان لأدواته الدفاعية من أجل حق الحيوان في الحياة، فمن خلال مبدأ احترام الحياة لكافة الكائنات الحية، فإن فكرة قارب النجاة ومبدأ أسوأ الحالات يُعد كارثة بيئية تهدد أي كائن غير مسئول أخلاقيًا عن أفعاله، فالعقل الناضج لا يقبل موت مليون نفس مقابل حياة نفس واحدة، وكذلك الأديان، وعليها جاءت نظرية توم ريجان في أنسنة الحيوان متناقضة مع ذاتها.

(1) Kary, Daniel. (2019***). Regan's Lifeboat Case and the Additive Assumption***, op. cit**,** p. 128.
(2) Sumner, L. W. (2014). ***The Case for Animal Rights by Tom Regan*** Wiely, Vol. 20, No. 3, p. 432.

## نتائج البحث

يمكن استخلاص بعض النتائج المهمة، وذلك من خلال تحليل رؤية توم ريجان فى أنسنة الحيوان وإثبات حقوقه في الحياة، وأهم هذه النتائج ما يلي:

أولاً: محاولة أنسنة الحيوان في فلسفة توم ريجان ما هي إلا ضرب من الخيال، فما قدمه توم ريجان في قضيته لا يتعدى سوى إثبات بعض الحقوق للحيوان، لذا لا يمكن القول بأن رؤية ريجان جديدة وفريدة في هذا الشأن، حيث سبقه الكثير من الفلاسفة الذين مجدوا الحيوان ودافعوا عن حقوقه.

ثانيًا: تُعد فكرة القيمة الباطنة التي أضفاها توم ريجان للحيوان فكرة جديدة، إذ من خلالها أثبت أن الحيوان كائن حي له قيمة في ذاته، بغض النظر عما يقدنه للإنسان من خدمات، لذا وجب تحرير الحيوان من وطأة المعاناة والألم.

ثالثًا: أغفل توم ريجان حق بعض الموجودات البيئية في فلسفته، حيث ركز في رؤيته عن حقوق الحيوان، مما جعله يتغافل تمامًا عن حق النباتات، والجمادات بوصفها موجودات بيئية لها قيمتها.

رابعًا: القول بأن حقوق الحيوان حقوقٌ طبيعية في فلسفة توم ريجان، يتنافى تمامًا مع فكرة الأقفاص الفارغة التي نادى بها ريجان في فلسفته، لأنها تضمن للحيوان الحرية المطلقة، والحرية سمة لازمة لكل فعل خلقي، والأفعال الخلقية خاصة بالسلوك الإنساني فقط.

خامسًا: تحتوي رؤية ريجان في أنسنة الحيوان على تناقض ذاتي، إذ أن فكرته تنهار تمامًا أمام فكرة قارب النجاة، وبمجرد إنهيار فكرته في أنسنة الحيوان، يمكن القول بأن فلسفة توم ريجان ليس لها أساس من الصحة، لكونها متناقضة مع ذاتها، إذ تراه يقول بالفكرة والنقيض.

سادسًا: إذا كانت لغة الإشارة أو اللغة بوجه عام تمثل دليلاً كافيًا في فلسفة ريجان على وجود الوعي، ففي هذه الحالة نستطيع أن نقول بأن الحيوان يملك الوعي مثل الإنسان تمامًا، وعليها فإن المجنون الذي فقد عقله مسئول مسئولية كاملة عن تصرفاته، لأنه ينطق ويتحدث باللغة.

سابعًا: إن مبدأ أسوأ الحالات يجعل فلسفة ريجان تتصف باللاأخلاقية، فهي فلسفة تتصف بالسوء والشر، إذ كيف يتم قبول الفكرة التي يفترضها، بأن مليون كلب تساوي إنسان، وعلى الرغم من الكثرة في العدد إلا أنه رأى ضرورة التخلص من المليون، متناسيًا بأن المليون يملكون أرواح تشعر بالألم، وتخاف من المجهول.

## مصادر ومراجع البحث

**أولاً: مصادر توم ريجان المترجمة إلى العربية.**

١. توم ريجان: **حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان**، بحث منشور ضمن كتاب "الفلسفة البيئية"، تحرير/ مايكل زيمرمان، ترجمة/ معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٣٢، الكويت، ٢٠٠٦م.

**ثانيًا: مصادر توم ريجان باللغة الإنجليزية.**

**2.** Regan, Tom. (1976). ***Do Animals have a Right to Life,*** **(in)** Animal Rights and human obligations, Edited by, Tom Regan and Peter Siger, prentice – Hall, Inc, Englewood Cliffs, N.J, U. S. A.

**3.** Regan, Tom. (1982). ***All That Dwell There In – Essays on Animal Rights and Environmental Eghics,*** University of California Press.

**4.** Regan, Tom. (1983). ***The Case for Animal Rights,*** University of California Press, U.S. A.

**5.** Regan, Tom. (2001). ***The Radical Egalitarian Case for Animal Rights,*** (in). Environmental Ethics, U.S. A.

**6.** Regan, Tom. (2003). ***Animal Rights, Human Wrongs – an Introduction to Moral Philosophy, Roman*** & Littlefield publishers, Inc, U.S. A.

**7.** Regan, Tom. (2004). ***Empty Cages – Facing the Challenge of Animal Rights,*** Rowman and Littlefield Publishers, Inc, U.S.A.

**8.** Regan, Tom. (2013). ***Animal Rights and Environmental Ethics***, (in). The Structural Links between Ecology, Evolution and Ethics, Edited by, Donato Bergandt, Springer, New York.

**9.** Cohen, Carl & Regan, Tom. (2001). ***The Animal Rights Debate,*** Rowman & Littlefield Publishers, Inc, U. S. A.

**ثالثًا: المراجع العربية.**

١٠. إمام عبد الفتاح إمام: ***الفيلسوف والحيوان – حوار بين العاقل والأعجم،*** دار صبح للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٠.أحمد صالح: **التحنيط – فلسفة الخلود في مصر القديمة، دار** جماعة حور الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١١. بهاء درويش: ***أخلاقيات العلم والتكنولوجيا وتطبيقاتها في الواقع المعاصر،*** دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٢١م.

١٢. الجاحظ: **الحيوان،** الجزء الخامس، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٣. حبيب سعيد: **أديان العالم،** دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، د.ت.

١٤. مصطفى عبد الرؤوف راشد: ***مباديء احترام الطبيعة في فلسفة بول تايلور الأخلاقية – بحث في منطق الأخلاق الإيكولوجية،*** مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الثامن والعشرون، القاهرة، ٢٠١٩م.

١٥. مصطفى النشار: ***مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الأيكولوجية المعاصرة،*** الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

**رابعًا: المراجع المترجمة إلى العربية.**

١٦. ألبرت أشفيتسر: ***فلسفة الحضارة،*** ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مراجعة: زكي نجيب محمود، المؤسسة المصرية العامة للترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٧. بيتر سينجر: ***كل الحيوانات متساوية***، بحث منشور ضمن كتاب "الفلسفة البيئية"، تحرير/ مايكل زيمرمان، ترجمة/ معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٣٢، الكويت، ٢٠٠٦م.

١٨. توما الإكويني: **الخلاصة اللاهوتية**، المجلد الخامس، ترجمه من اللاتينية إلى العربية: المطران بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٠٨م.

١٩. جون بول سكوت: ***سلوك الحيوان***، ترجمة: عبد الحميد خليل، وعبد الحافظ حلمي، مراجعة: محمود محمد رمضان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٠. ديفيد ديجراتسيا: **حقوق الحيوان – مقدمة قصيرة جدًا**، ترجمة محمد سعد طنطاوى، مراجعة ضياء ورَّاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

٢٢. يورى ديمتريف: **الإنسان والحيوان عبر التاريخ**، ترجمة د. محمد سليمان عبود، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

**خامسًا: المراجع الأجنبية.**

**23**. Ainslie, D. C. (May 2001). ***Hume`s Reflections of the Identity and Simplicity of Mind***, Philosophy and Phenomenological Research, Vol.62, No.3.

**24.** Bentham, Jeremy. (2000). ***An Introduction to the Principles of Morals and Legilation,*** Batoche Books Kitchener.

**25.** Campsall, Jeanine. (2011). ***Tom Regan and the Problem of Conflicting Rights,*** A thesis submitted of Master

in Philosophy, Faculty of the Graduate School, University of Texas.

**26.** Darwish, B. (2009). ***Rethinking Utilitarianism,*** in teaching ethics, vol.10.

**27.** Evans, Claude. J. (2005). ***With Respect for Nature - Living as Part of the Natural World***, State University of New York Press, New York.

**28.** Gill, M. B. (April 1996). ***A Fundamental Difference between Hutcheson and Hume***, *Hume Studies*, Volume xxii, Number 1.

**29.** Hospers, John. (1983). ***The Case for Animal Right by Tom Regan,*** University of California Press, Reason Papers, No.10.

**30**. Hutcheson, F. (2004). ***An Inquiry into The Original of Our Ideas of Beauty and Virtue***, edited, Wolfgang Leidhold, liberty fund, inc. Indiana**.**

**31.** Jacquette, Dale. (1985). ***The Meaning of Animal Rights,*** Human Studies, Vol. 8.

**32.** Kary, Daniel. (2019***). Regan's Lifeboat Case and the Additive Assumption,*** Journal of Agricultural and Environmental Ethics.

**33.** Nussbaum, Martha. C. (2001). ***Upheavals of Thought – The Intelligence of Emotions,*** Cambridge University Press, U. S. A.

**34.** Nussbaum, Martha. C. (2013). ***Political Emotions – Why Love Matters for Justice***, The Belknap Press of Harvard University Press, U.S.A.

**35.** Petersen, H. Jean. (2006). ***The Relevance of the Animal Liberation Movement to Environmental Ethics,*** A thesis submitted of Doctor in Philosophy,

Faculty of the Graduate School of the University of Colorado.

**36**. Raha, Rosamund. (2017). ***Tom Regan Philosopher and Animal Rights Pioneer 1938 – 2017,*** the Vegansociety, Feb 20, 2017. Accessed Nov 12, 2020. At. https://www.vegansociety.com/news/blog/tom-regan-philosopher-and-animal-rights-pioneer-1938-2017.

**37**. Rowlands, Mark. (2009). ***The Animal Rights – Moral Theory and Practice***, Palgrave Macmillan, New York.

**38.** Singer, Peter. (Jan., 1978). The Fable of the Fox and the Unliberated Animals, Ethics, Vol. 88, No. 2.

**39.** Singer, Peter. (1987). ***Animal Liberation or Animal Rights?*** The Monist, Vol. 70, No. 1, Animal Rights.

**40.** Singer. Peter (1985). ***Ethics and The New Animal Liberation Movement***:in, Defense of Animals, edited by, Peter Singer, Basil Black well, New York.

**41.** Singer, Peter. (1999). ***Practical Ethics***, Cambridge University press, New York, Second Edition.

**42.** Sumner, L. W. (2014). ***The Case for Animal Rights by Tom Regan*** Wiely, Vol. 20, No. 3.

**43.** Westermark, E. (1932). ***Ethical Relativity***, Kegan Paul, Trench, Trubner & Co, LTD, London.

# Animal Humanism in Tom Regan`s Philosophy

**Abstract**

"**Animal Humanism**" is an idea developed by the researcher to try to impart some of the physiological and psychological values and characteristics that characterize humans to animals, such as love of life, a sense of pain, awareness, and the ability to express. Thus, the idea does not refer to the care of animals, rather it refers more to the necessity of humanizing the non-Arab, and the necessity of recognizing their rights to life just like humans. On this premise, they found the vegans in environmental philosophy - the fertile land - to establish and grow their ideas, and accordingly the idea of animal humanization was an integral part in the formation of contemporary environmental philosophy, even if contemporary philosophers did not express this idea in their writings, as the idea appeared clearly in Arabic literature The ancient poets in their poems, considering the animal as a human being characterized by most of the human qualities.

The importance of the research appears in the fact that it deals with a thorny problem that raises sub-questions that resulted in it**: "To what extent can it be said that an animal is human? In the sense of can all the human qualities that a human possesses be applied to an animal?"** Therefore, the research was entitled **"Animal Humanism in Tom Regan`s Philosophy"**, and its importance lies in the idea of the moral attempt that the American philosopher Tom Regan wanted to have for animals, which is the idea of humanizing the non-human.

**keywords :**Animal Rights - Animal Humanization - Inherent Value – Subject of life - Conscious - Lifeboat.